

AUC Library
CB 251 M35 1929 c.1
main
MAZHAR ISMA' WATHBAT AL-SHARD

3 8534 00694727 1

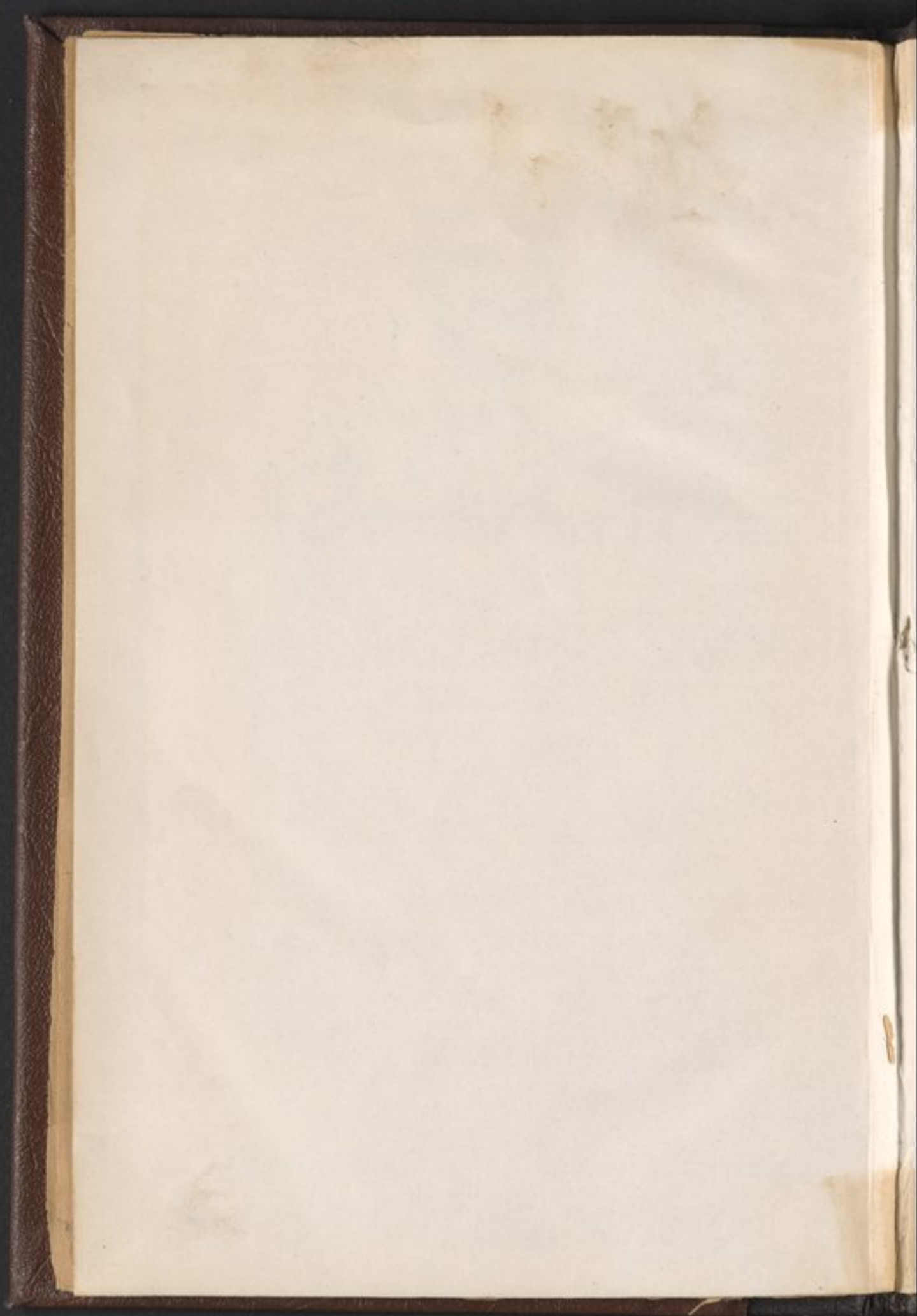
مذہب
مذہب



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة





05-B10643 Pwt

حرر فكري



CB
251
M35
1929

وقتنا للشوق

بحث

في أن العقلية التركية الحديثة هي مثال العقلية السليمة
التي يجب أن ينتحلها الشرق
ليجاري سير الحضارة العالمية

بقلم

اسماعيل مطهر

عضو المجمع المصري للثقافة العلمية

وصاحب مجلتي العصور الشهرية والأسبوعية ومحرمهما

جميع الحقوق محفوظة

١٩٢٩

دار العصور للطبع والنشر : شارع النابج المصري بالظاهر : بمصر

OCLC
122899397

C 5742.
93400

B11400262
11632057

949.6
M457

907, 1V
2 .1P

15724

مقدمة

عززي

لا أظن أن من الأقوال التي صدرت عن حكماء الغرب وكتابه قول هو أبعد عن محجة الصواب من قول الكاتب « ولز » - « الغرب غرب والشرق شرق ولن يلتقيا » - فانها كلمات أملاها غرور له مبرراته ، واعتداد بالنفس له نتائج ومقدماته . على أن هذا القول لا يدل على شيء بقدر ما يدل على ضيق في النظر وحرج في النفس ، سببه حالات قامت في الشرق ناظرتها حالات ارتقائية قامت في الغرب . فعدت حالات الأول به عن اللحاق بالحد الذي وصل اليه الثاني .

على ان محور هذا القول يدل على عقلية تلزم صاحبها الاعتقاد بان الشرق لن يستطيع أن يتحل عقلية الغرب ليلتقي الاثنان في ميدان الجهد الانساني . ولا جرم أن هذا خطأ كبير وتعميم خطير النتائج بعيد الأثر في الأذهان : وهو بعد ككل التعميمات الفلسفية الاجتماعية والاحكام العامة الرنانة ، تطن بعيداً ولكنك لا تجد لها من حقيقة مادية ترتكز عليها . ولعمرك كيف يمكن أن يقبل حكم كهذا الحكم ويؤخذ على أنه قاعدة ثابتة ، وأنت لو رجعت الى التاريخ القديم لوجدت أن اليونان كان لهم الحق في أن يقولوا نفس هذا القول عن الشرق ، وان الشرق قدمرت به أدوار لادور واحد ، كان من حقه أن يقول فيه أكثر من هذا في الغرب وفي أوروبا بالذات ! إذن فهو تعميم لا قيمة له من جهة الواقع ، وانه كانت له مبررات زمانية ، وظواهر لا يمكن نكرانها في هذا العصر . وأنت اذا رجعت الى حالات اليوم والساعة التي قال فيها « ولز » هذا القول وقستها بحالات الشرق في هذا العصر ، لوجدت أن مبررات هذا القول أخذت تتضاءل وتزول أهميتها شيئاً بعد شيء . ولانباغ اذا قلنا بان هذه الكلمة التي طنت في أوروبا وتجاورت بها أنحاء الشرق زماناً كادت تصبح من الأقوال المنبوذة . بل أصبحت صورة حفرية لعقلية قامت في الغرب في الزمان الذي كان المريض العثماني ملقى فيه على فراش المرض ، والامبراطورية التركية آخذة في سبيل الانحلال ، ومصر مستنمية لحكم الغاصبين ، والهند مشغولة بحزبياتها الدينية ، وفارس خاضعة لفرذروسيا ، والافغان راتعة في جبالها منقطعة عن عمران

الحضارة ، وشمال أفريقيا نهب للجموع الفرنسية من ناحية ، وسوء الإدارة التركية من ناحية أخرى ، وسوريا وفلسطين والعراق مستنبتات في سبات عميق ، كأن الفلك مادار من حولهن ، وكأن عجلة الزمان مالفت على أهل هذه البلاد .

ولاشبهة في أن هذه الحالات قد تغيرت الآن فتغيرت معها تلك العقلية التي أملت هذه الكلمات . وكيفيك أن تعرف أن السلطات الاستعمارية أخذت تعترف شيئاً بعد شيء بحق الشعوب الشرقية في الحياة المجبرة على ذلك بحكم مقتضيات التي تلزم الناس والشعوب على تغيير عقلياتها وأساليبها خضوعاً لحكم الظروف ، ابتغاء الموازنة بين الحاجات والضرورات

ولقد مرت بأوروبا برهة من الزمان اعتقد فيها المفكرون أن الدين الإسلامي زائل يوماً من الأيام وأن العقلية الشرقية لن تخرج من تلك الدائرة الضيقة التي رسمها الفقهاء خلال القرون . فظهر أثر هذه العقيدة الغربية في السياسة الدولية وعملت الدول الأوروبية على تقسيم الامبراطورية العثمانية إلى مناطق تفوذ تختص كل دولة بمنطقة منها وتكون من حصتها عند تقطيع أوصال الغنيمة إذا ما حان لذلك الوقت الملائم . ولقد تمزقت الامبراطورية العثمانية كما تمزقت الامبراطورية النمساوية . ولكن من من الأوروبية وبين يستطيع اليوم أن يدعي أن الشعوب التي انفصلت عن الامبراطورية العثمانية أقل شعوراً بحقوقها في الحياة ، من الشعوب التي انفصلت عن الامبراطورية النمساوية ؟

لقد اعترف للشرق بحق الحياة . واعترف الاكثرون انه قد يلتقي الشرق والغرب في ميدان الجهاد الانساني . فلنعمل اذن على تحقيق ذلك في أكبر دائرة من الامكان .

لانكران مطلقاً في أن العقلية التي نشأت في الشرق ، وتقصد به آسيا في الغالب هي العقلية التي لا تلائم مزاج هذه الحياة . هي العقلية التي لا تنسق وحاجات هذه الحياة الدنيا . بل أنت اذا قلبت أوجه النظر في هذه العقلية الفيتية تلائم من كل نواحيها الحياة الاخرى . نكران لكل مطالب الحياة ، وتواكل على الفضاء والقدر ، واستسلام صرف لما سوف يأتي به الغد ، واغفال محض لمواعظ الماضي وعظاته . هي عقلية توافق المزاج الانساني في غرارته الاولى وبساطته وأساطيره ، عندما أخذ فجر العقل

س من خلال الظلمات الأولى. ولقد عيب على الشرق أن يكون هذا حال عقلية
له! وفي الحق أن الشرق يجب أن يعاب عليه توأله واستسلامه للقادير وخضوعه
مراته من ناحية، ورجال الدين والفقهاء من ناحية أخرى. غير أن أخذ الشرق بهذه
لناقص الكبرى من غير تعليلها تعليلاً يظهر حقيقتها، غيب فاحش على الشرقيين،
واستسلام الشرقيين لمثل هذه التهمة الشنعاء أمر يعابون عليه أكثر مما يعاب عليهم
توارثهم لمثل هذه العقلية منذ أبعاد عصور التاريخ.

كان الشرق مهد الإنسان، فيه ظهرت جماعته الأولى، وفي ودياته الخصبية نشأت
الحضارات البدائية التي جاهد الإنسان في سبيل الفوز بها وتناحر من أجلها مع
وحوش الغابات وميكروبات الماء والهواء والطفيليات، وجماد العناصر الطبيعية
وقواسر المناخات المختلفة، حتى استطاع في النهاية أن يستقوى عليها جميعاً، فيرت
الأرض ومن عليها، ويشيد تلك الحضارات العجيبة تلو أحداها الأخرى كأنها في ظلال
التاريخ أشباح مرده من الجن أو جبارة من الخيال تتصارع في أفق الروايات الإنسانية
صراع الكواسر بعضها الجوع أو أخذتها غصبة الانانية. فتلوح كأنها في ميدان حرب
تتناوب فيه الغلبة حيناً والانكسار حيناً آخر، وأنت بين هذا وذاك ترى المدنيات
تنشأ تدرجاً وتقوم لماماً على المسرح الإنساني، ثم لا تلبث أن تراها تنهار
وتتقوض دعائمها، كما لو كانت جدراناً متداعية، وضع الفأس في أصولها جبار
قوى الأصلاب

ترى هل كان غير الشرق من بقاع الكرة الأرضية ميداناً لمثل هذا الصراع؟ وهل
كان غير الشرق مسرحاً لتغالب هذه القوى وتفانيها؟ هل كان غير الشرق مهداً
للجماعات الإنسانية الأولى؟ كلا. ففي ذلك الوقت الذي جالدت فيه جماعات الإنسان
الأولى الوحوش والعناصر لتفوز بالغلبة عليها في أنحاء الشرق، كانت بقية الكرة
الأرضية ملكاً لغيره من الحيوانات العليا من ذوات الثدي. غير أننا نتساءل وقد نشأ
الإنسان نشأته الأولى ضعيفاً في القوة البدنية، بل حيواناً شجرياً بسيطاً من حيث
القيمة الجثمانية، كيف استطاع أن يتغلب مع هذا على غيره من الحيوانات الكبيرة؟
استطاع أن يتغلب عليها بكفاءاته العقلية التي نشأت فيه على مر الأزمان واستطاع
بها أن يتغلب على غيره. فلما احتاج إلى زيادة استعمالها نمت وكبرت مع الزمان

وتطورت نشوءاً على مدى الاحقاب . وفي هذا الطور ، الطور الذي بدأ الان من يدرك فيه أنه سيد المخلوقات وأنه يمتاز عليها بقوة العقل ، بدأ طور الفلسفة على ذلك ما استطاع الانسان أن يدرك من حقائق الموجودات . وكانت النشأة الاولى بالضرورة من موضوعات تفكيره . فقد رأى الحياة يتلوها الموت والموت تتلوها الحياة على التعاقب والتواتر . ففكر في تخيل ثم استوى على الصورة اللاهوتية الاولى التي هي أول مدارج العقل الانساني في تقسيمه كونه ، لصور النشوء الفكري في الانسان .

وكان من نتاج ذلك أن يختص الشرق بوراثه متأصلة في تضاعيف فطرته وحاجة لاشعورية جرى عليها ، هي الحاجة الى القيادة الروحية والاستسلام اليها فنشأت عن ذلك صور متخالطة من صور الميثولوجيا دارت كلها حول الخلق والعدم والحياة الاخرى . وكان من الضروري ، مادامت الحياة فوق هذه الارض لادوام لها وكانت باقية في العالم الثاني ، أن ينصرف اللاهوت في الشرق ناشئاً عن الميثولوجيا القديمة الى الحياة الاخرى ، وأن يبشر بهذه الاسطورة لاهل الشرق . ولكن العجب أن يظل الشرق عاكفاً عليها؛ في حين أن الغرب يتغلب ويستقوى عليها فيفوز الغرب بالحياة ويفوز الشرق بخيال الآخرة . هذا مع اليقين بأن الغرب قطعة من الشرق انفصلت عنه ، كما انفصل القمر عن الارض منذ بداية التكوين .

لاشك في أننا نستطيع أن نعلل هذه الظاهرة تعليلاً طبيعياً . فانك اذا تخيلت قبيلة من القبائل بدأت هجرتها من أواسط صحراء التبت ، مثلاً متجهة نحو الغرب ، وارتدت أن تعرف أي عناصرها الأقوى ، على فرض أنها أخذت تهاجر ، مستمرة في هجرتها الى آخر مدى يمكن أنه يبلغه افرادها ، فلاشك في أنك تحكم بان أقل افرادها قوة هم الذين يقفون عند حدود فارس وأوسطهم الذين يبلغون العراق وأشدهم الذين يجتازون مضيق البوسفور . تجربة طبيعية تدل على صفات كامنة . وهي أن دلت في أول ما تدل عليه على صفات جنائية فائقة ، فهي راجعة الى صفات نفسية أيضاً . الى صفات الاقدام والشجاعة والتغلب على المخاوف ، تلك الصفات التي لا يمكن أن تبرهنها من أثر القوة العقلية أو تبرى . القوة العقلية منها . فاذا رجعنا الى المستكشفات الحديثة في علم الانسان والشعوب واعتمدنا على ما وصل اليه العلم فيهما ، وفرضنا أن الانسان نشأ في أواسط آسيا ، استطعنا بنظرة واحدة في توزيع الشعوب البشرية في آسيا وأوروبا أن تثبت هذه الحقيقة . ففي الطرف الغربي من

أورد وبأرقى أمم التيوتون والانجلوسكسون ، يناظرهم في الطرف الشرقي من آسيا أرقى أمم المغول . بريطانيا العظمى من ناحية ، واليابان من ناحية أخرى . ولقد فازت الأولى في ثلاثة قرون بحكم الدنيا . ومن ذا الذي يعلم ما سوف ينجلي عنه مستقبل الثانية .

هذه الحقيقة التي لا ينازع فيها هي السر في تقدم الغرب وتأخر الشرق . وانك لتجد أن صفاء العقلية يتدرج من حدود روسيا إلى الجزر البريطانية ومن حدود بغداد إلى اليابان . بل إنه يتدرج في سلسلة عجيبة من الحلقات المتتابعة .

إذا أدركنا هذه الحقيقة عرفنا لماذا ارتقى الغرب ولماذا ترك الشرق غارقاً في بحار الدينية مستسلماً إلى الآخرة مستنياً لحكم الفقهاء والأمراء المستبدين بأمرهم الممثلين لله فوق الأرض . فكريات حملها المقدمون فصارت لهم تبعاً ، وغرق في بحارها الجامدون فصاروا لها تبعاً . هذا كل ما في الأمر .

ولكن هل يمكن لمن ظل جامداً من شعوب الشرق وورث عن النشأة الأولى موحيات اللاهوت البدائي ، أن ينتحل العقلية المبررة التي دفعت باهل الشرق الأقصى إلى المحيط الهادى ، ولولاه ما وقفت هجرتها ، ورمى باهل الغرب إلى بحر الظلمات ولولاه لماصدها عن الاقدام صاد ولا حال دون هجرتها حائل ؟ لا اعتقد أن هذا من المستحيلات ، بل أعتقد أنه أهون الممكنات . ولكن بعد بضعة تجارب بسيطة . هزات عنيفة تحرك الجمود ، ودماء تراق في سبيل العنق ، وثورات طاحنة ، كانت ثورة الأتراك أولها ، وثورة الأفغان ثانيها .

هذا هو التعليل الصحيح للبررات التي جعلت لقولة « ولز » ذلك الصدى العميق . وهي على ما فيها من بساطة التركيب ، مبررات على كل حال . ولكنها لا تقوى على مقاومة التحليل التاريخي على ما أرى .

ولست أريد أن أستعمق بعد هذا التحليل في البحث والتنقيب . فالحقائق بينة والطريق مهود ، لو لا بعض عقبات ليس تذليلها في حيز المستحيل ، لهذا ترك البحث لتمهيدك طريق الدخول لاستيعاب العقلية التركيبية الحديثة التي هي في معتقدى مثال العقلية السليمة في الشرق الاوسط أو الشرق اللاهوتي ، وارث الجمود والاساطير .

الخلافة

ما من شبهة تقوم في عقل المؤرخ فتورثه الحيرة والارتباك ، أ كبر من تلك الشبهة التي يحاول أن يتخلص منها في كل مدرج من مدارج التاريخ البشرى إذ هو مكب على رواية حوادثه ، شبهة أن المدارك الانسانية ناقصة وأن النفسية الضامية أى نفسية الجماعات ، نفسية بدائية فيها غرارة الفطرة الاولى ، وسذاجة الطفولة ، وضعف الخنوة واستكانة الرق والعبودية .

هى لدى الواقع حقيقة ثابتة تقوم في عقلية المؤرخ لابسة صورة شبهة أو شك مبهم غامض ، ذلك لأن المؤرخ ان استطاع أن يدرك حقيقة البشرية على صورتها الصحيحة ، فهو أول شيء مغلول الفكر بأنه أحد أفراد بنى الانسان ، إن شك في مداركهم فقد شك في مداركه ، وإن أنحى عليهم بالنقد فهو بدأ ينتقد شيئاً هو جزء منه ، وقطعة لا يمكن أن تنفصل عن أصلها إلا لماماً ، لتعود اليه مرة أخرى بقوة جذب خفية عميقة الأثر في تصاريف الحيوان الناطق .

هو يعلم بأنه مكب على رواية سخافات جدية بأن يكون الانسان خالقها من العدم وسفاسف ما قامت في عالم الحياة إلا بقيام الفكر البشرى مسوداً على مافى الحياة من صور . ثم هو بجانب هذا يحاول دائماً أن يستمد من الخيال قوة يستقوى بها على منازع النقد ليخفى الحقيقة عن نفسه أولاً ، ثم يحاول اخفائها فيما بعد عن بقية الناس .

هو يعلم أن كثيراً من النظمات البشرية نظمات بربرية وحشية ، وأن خضوع الجماعات لهذه النظمات بحكم العادة أحد مناقص الطبيعة الانسانية ، وجزء لا ينفصل عن طبيعة الضعف الكامن في قلب الانسان ، ولكنه مع هذا يحاول أن يجد لهذا الضعف مبرراً ولتلك المناقص أعذاراً واهية ساقطة ، بله الدفاع عن نظمات ان دلت على شيء ففى أول ماتدل عليه نقص في الفطرة وميوعة في طبيعة الاشياء الانسانية ، هى لدى الواقع إحدى المكونات الاولى التي استحدثت ما ندعوه بالتاريخ الانساني هو يعلم أن الاوهام هى التي شيدت معابد الكلدان ومصر ، وانها هى التي الهت بوذا وكونفوشيوس ، وانها هى التي اقامت الاهرامات ، وان هذه النظمات بعد ان استمدت من الاوهام اصلا قامت عليه ، أخذت تعمل على ان تمد من أجل الاساطير

وتظيل من عمر الحرفات . ومع ذلك فهو يحاول أن يدافع عن أشياء اسلسها الوهم وأصلها الخيال .

هو يعلم أن نظام الملكية نظام مستمد من أصول وحشية أولى ونظامات بدائية قيامها في العصر الحاضر بمثابة الاحافير تقوم في باطن الارض برهاننا على ان صوراً من أمثالها عاشت على الارض في عصر من العصور ، ومع ذلك تجرد المؤرخ يحاول الدفاع عن هذا النظام ان كان في نظام ملكي ، كما يدافع عن الجمهورية اذا كان في نظام جمهوري ، وعن الفوضوية اذا كان في نظام فوضوي ، على سعة ما بين هذه النظامات من تباين واختلاف .

هو يعلم أن نظام الخلافة نظام فاسد ، كما كان نظام البابوية في روما ، ولكنه مع ذلك يحاول ان يستمد من التاريخ مبرراً له ، أو يعتمد الى القول بأنه نظام ليس من روح الاسلام في شيء .

شبهات وشكوك وابحاث ضائعة ، فيها من المواربة واللف مانغني عنه كلمات وجيزة ، واسطر معدودة . شبهات وشكوك اول باعث عليها شعور عميق بما في النظامات الانسانية من نقص ، لا يبعد أن يكون في العقل الانساني نقص يناظره ، به يبعد الناس عادة عن رؤية الحقائق كما هي ، أو كما هي واقعة

صدر كتاب الاسلام واصول الحكم ، يحاول صاحبه أن يثبت أن الخلافة ليست من نظام الاسلام في شيء وعمد الى أقوال المعاصرين في صدر الاسلام والى الاحاديث . وهي أقوال وأحاديث ان دخل الشك في شيء فهي أول ما دخل فيه الشك ، وان تناوبت الشبهات على شيء فهي أول ما تناوبت عليه الشبهات . يعتمد الى هذا ليبرر الغاء الخلافة . فهو في ذلك مثال المؤرخ تشابهت عليه الحالات ، وقامت في نفسه مشاعر ملؤها الاعتقاد بالنقص الانساني وخضوعه للاوهام ، فحاول ان يستمد من غير الواقع اوجه دفاع عن النفس الانسانية اولاً ، ثم عمد بعد ذلك الى تقرير ما يخالف الواقع ارضاءً لمنازعات هو يعتقد أنها مخطئة وأنها على ضلال . ولو أنه ترك كل هذا وقال ان الخلافة نظام ورث عن الاسلام ولكنه لا يوافق روح العصر ولا حاجات الزمان الحاضر ، لوجد انصاراً من نفس الذين يخالفونه في رأيه الا اول مصوبواً في القالب الذي صيبه فيه ، ولكن

أقرب إلى الحقيقة، وأقرب لفضائل المؤرخ تخلص من شبهات الروم التي تقوم في
الذهن عادة لدى التفكير في نظام الجماعات.

ولسنا نريد أن نفتح باباً جديداً يلجج المؤرخون ويأخذون بتلابيبنا كما يفعل
الأدباء في مناقشاتهم الأدبية، فائلين ابن الحجّة التي تؤيد بها أن الخلافة أصل من
أصول الإسلام؟ والحقيقة أن الخلافة ليست أصلاً من أصول الإسلام ولكنها كما
قلنا نظاماً ورث عن الإسلام في نشأته الأولى. فان محمداً كان نبياً ومشرعاً وقائد
جيش ومقيم إمبراطورية ومسلماً غير متوج على معنى الملكية قديماً وحديثاً، بل
حصرت في شخصه قوة السلطين الروحية والزمانية. وعلى هذا النظام سار الخلفاء
الراشدون من بعده، وعنهم ورثها معاوية في الشام، والعباسيون في بغداد،
والفاطيون في مصر، والعمانيون من بعدهم.

اذن فالخلافة نظام إسلامي مأخوذ من روح الإسلام ومن تقاليد الموروثه
التي قام عليها في نشأته الأولى. وكان لزام على الإسلام أن يحصر السلطين في يد موجهه
أولاً، في عصر كثرت فيه الفتن وقام العرب يناؤون الإسلام والمسلمين. فلما مهدت
الحروب الداخلية سبيل الحياة بعد انتصارات أيده ورث النظام وعليه سار الإسلام
والمسلمون

لهذا نعلم إلى مؤرخ ثبت نقل عنه قطعاً ثبت بها أن الإسلام كل لا يتجزأ
ووحدة لا تقسم عراها، وأن الخلافة باعتبارها نظاماً إسلامياً لا بد من أن تكون
أحد أجزاء السلسلة التي تكون عقد الإسلام

نعمد إلى العلامة كارل ه. بيكر Carl. H. Becker وزير الفنون والعلم
والترفيه في ألمانيا - ١٩٢٧ - وهو أحد مشهورى المستشرقين. أما أبحاثه الإسلامية
فتعتبر من أدق المباحث وإطلاها وأكثرها ابتكاراً وأعماقها فكرة وأصحها سنداً.
ولقد ترجم كتابه المعروف «فتوحات العرب» إلى الإنجليزية وضمته جامعة
كامبردج إلى مجلداتها التي تخصصها لدراسة تاريخ القرون الوسطى - ١٩١٢ - وله
مجلة ذات شهرة واسعة اسمها الإسلام - Der Islam. تكاد تكون المحور الذي تدور
من حوله كل الأبحاث المبتكرة في تاريخ الإسلام ونبعاً فائضاً للتقريب المنتج في

أخص المسائل التي تتعلق بالمدينة الإسلامية . أما ما نقله هنا ، فن مقالة له تحت عنوان « الإسلام في التاريخ » ، نشرت في مجلة « الأمم » ، التي صدرت في شهر فبراير سنة ١٩٢٧ : قال :

« تستعمل لفظة « الإسلام » عادة في كثير من المعاني المختلفة . فقد نستعملها لتدل على دين الإسلام ، سواء أتكلمنا في تعاليم محمد الاصلية ، أم في مجموع المذاهب القديمة التي هي شيء مختلف تمام الاختلاف عن تلك التعاليم : أو في دين المسلمين المعروف اليوم في آسيا وافريقية . وسواء أوعينا في اذهاننا أوجه النشاط الديني التي يبدونها الإتراك أو الزنوج ، وسواء أتكلمنا في الغزالي أو في المهدي السوداني ، فإنا نستعمل اللفظ ذاته ونقول « الإسلام » . وكلما كانت معارف الناس اقل ، كانوا اشد نزعة الى التعميم . فمن ذا الذي يجرؤ مثلاً على أن يصف الاوضاع الكنسية في بلاد الحبشة بأنها ذات النصرانية ، من غير ان يعرض نفسه للاستهزاء والسخرية ؟ ولا جرم ان القول بان هذه الاوضاع هي بذاتها البروتستانتية النصرانية ، من غير تعديل أو تكافؤ بين الحالات ، لا بعد عن أن يتورط فيه باحث يزن الاشياء بميزانها الصحيح » .

« ولم نكتف بهذا بل استعملنا لفظ « الإسلام » ، ليدل على احدى امبراطوريات الشرق العظمى ، أو على كل الحكومات المتفرقة التي كانت تنشأ عادة على انقاض الامبراطوريات الكبرى وبقاياها ، حتى اقم نطلق الاسم على الحكومات المحمدية التي زاهها قائمة في الزمان الحاضر . غير أننا لم نعن « بالإسلام » مجرد الحكومات الفعلية ، بل صرفناه على شيء اكثر من هذا خطراً . فعرفناه على انه نظرية سياسية ، سوا اقامت تلك النظرية على مذهب سياسي أو مبدأ تنزيلي » .

« وكلما استعمقنا في بحث هذا الموضوع ، ازددنا اقتناعاً بضرورة التفريق بين لدلولات . غير أنه ليس في وسعنا أن نقرر بصلافة أن تعريفاً جامعاً مانعاً يجب أن يوضع لتحديد ما يعنى بلفظ « الإسلام » ، في كل حالة من الحالات الخاصة ، وعلى الأخص اذا عمدنا الى وضع تقديرات معينة للقيم المتناظرة . على ان الباحث الاختصاصي ، مهما جهد نفسه في التحوط والحذر ، ومهما بذل من عناية في استخلاص تلك التحديدات الضرورية ، فإنه لا محالة يستعمل تلك اللفظة العامة - « الإسلام » . على أنه يجب أن

بتساءل ! هل لهذا من مبرر؟ أو بعبارة أخرى: هل كل المعاني المختلفة التي يجمع بينها هذا الاصطلاح تدخل حقيقة تحت مدلول « الاسلام » عامة، ذلك المدلول الذي لا يخرج بدياً وتخصيصاً عن أنه دين؟ غير أن هذا السؤال قد أجبتنا عليه مقدماً وحددناه، إذ قلنا بأن اصطلاح « الاسلام » ومساأله في التاريخ، قد استعملناه من غير أن نضيف الى ظاهره مدلولات أخرى .»

« أما وقد حللنا كلمة « الاسلام »، فإنا بذلك نكون قد تجاوزنا النظر في العوامل الأساسية، التي إذا أخذت في مجموعها، كونت ذلك الشيء الذي نحس بأنه التصور الوحيد الذي يمكن أن نكونه في « الاسلام »: أي ذلك الإيمان الكلي المتماسك الاطراف، وذلك المثل السياسي الاعلى المتكالف الأجزاء، وتلك المدينة المتناسقة التي تتمشى في اجزائها فكرة الوحدة والاتلاف، والتي فضلاً عما نجد فيها من الاختلافات الموضوعية، نلمح في مجموعها وحدة المثل العليا، كما تقع فيها على شيء من الوحدة في العمليات. وما من شك في أن « الدين » هو الذي يجمع بين هذه العوامل الشتية، وان الفكرتين السياسية والمدينة، كليهما، لم يكونا ينتشرا ويثبتا مع الزمان لولا قيامهما على قاعدة الدين. وكذلك نجد في الوقت الحاضر أن « الاسلام » رابطة من الوحدة قوية، عادلته في كل عصور « الاسلام »، قوة « القومية » الشديدة الأثر في النفوس، فجمعت بين الناس وكونت منهم عصباً أقوى وأشد مراساً. فلن زنجياً من زنوج قبيلة « الونغيديو » - Wangido - في شرق افريقية الالمانية اذا أصبح مسلماً فإنه لا يتسمى باسم قبيلته. بل يتسمى بالاسلام (١) ويصبح العربي أخاً للزنجي المسلم. وبذلك تتماسك كل الخيوط المختلفة وتتفق كل النزعات المتباينة، من حول المركز الديني في « مكة ». وفي مناوأة أوروبا على الاخص، نجد أن المسلمين يشعرون شعوراً عميقاً بأنهم وحدة متماسكة الاطراف. لهذا يحق لنا أن نتكلم، مادام أن الدين يصبغ الحياة اليومية بصبغته الخاصة، إن قليلاً أو كثيراً، في مدينة اسلامية موحدة الاجزاء، تنقل الى الذهن دائماً حقيقة أن هذه المدينة الدينية مؤثر فصل، يقطع بين حدين قطعاً تاماً.

(1) Missions - Blatter (journal of the st. Benedictus - Missions - Genossenschaft, st. Ottilien) XIII, Heft 9 P. 130.

« وهذه الحالات ، التي لانشك مطلق الشك في أنها لا تزال قائمة حتى اليوم ، قد زادت الى صعوبة الفهم لدى البحث في تاريخ نشوء الاسلام . واذ نعرف أن الدين الى الوقت الحاضر ما يزال العامل الاقوى الذي تقوم عليه كل الاشياء الاخرى مما يتعلق بالاسلام والمسلمين ، وإذا نرى أن كل الظواهر التاريخية الخاصة بالاسلام يجب أن يرجع فيها الى مؤسس الديانة ، فإى شىء يمكن أن يكون أقرب الى البديهة من أن نعتبر الدين العامل الاساسى أن لم يكن العامل الاوحد ، الذي تعود اليه حقيقة خلق مدينة اسلامية متلائمة الاطراف »

« ولدينا عامل آخر ، نتج عن العكوف على عادة النظر فى الاشياء من وجهة النظر الكينيسية ، تلك العادة التي ورثناها عن القرون الوسطى . ولاجرم أن هذا الاتجاه لا يزال ثابتا فى نفسيتنا لدى النظر فى الاسلام ، حتى الوقت الحاضر . فقد اعتدنا فى القرون الوسطى ، حتى فى أوائل العصر الحديث ، أن ننظر الى الاسلام بديا على أنه دين معاد ، وضع حداً لانتشار المسيحية ، وهددها فوق أرضها تهديداً شديداً . وكانت النظرة التي نظر من ناحيتها فى نشوء الاسلام قد انحصرت فى الاعتقاد بأن الدين الجديد قد ملا صدر العرب حماسة وأفعمها حمية ، وأن المسلمين قد اندفعوا الى الفتح الحربى تحت تأثير الرغبة الشديدة فى هداية أهل الأرض الى الاسلام ، وأنهم إنما يعملون على نشر دينهم بالسيف ، وأن محمداً كان نبيا ورجلا سياسيا معاً . بل اعتقد بأن الثقافة العربية ممزوجة بالدين الجديد — « الاسلام » — قد كونت تلك الصورة التي تعرف بالمدينة الاسلامية العربية ، وأنه على الرغم من أن عددا من المنظمات والفكرات الجاهلية قد استمرت باقية ثابتة الاثر ، فان الدين وحده لم يكن السبب الذى خلق المدينة الجديدة ، بل صورها ونظمها لاغير . اذن فالدين هو القاعدة . وكل الصور النشوئية الاخرى ، لم تكن إلا نتيجة من نتائجه . فكان من الضرورى على مقتضى هذه الفكرة ، أن يدمج الدين طابعه الثابت فى جبين الوحدة الصورية والخلقية . ومن هنا نشأت الفكرة فى مدينة اسلامية متلائمة الاجزاء ، موحدة الاطراف »

« ولا مشاحة فى أن كل باحث يتصل بكتاب العرب وفكره مليء بمثل هذه الآراء

وبجانبتها نظرة غير صحيحة تتكون حول تاريخ النصرانية (١) يجد أنها آراء لها سناداتها ومبرراتها. ذلك لان السلطات المحمدية لها قواعد كهنوتية مقررّة مفروغ منها. كذلك تراهم يقررون جملة بأن نشوء الاسلام من خالق محمد ومن ابتكار الخلفاء الراشدين في عصر الاسلام الذهبي. وعندهم أن الحكومة والمجتمع، وكذلك الحركتان العلمية والاقتصادية، جماعها تخضع للقواعد الدينية. وكان المتبع أن يخلع من هذه الارض الدينية التي اعشوشبت بمختلف النظريات، كل نبتة طفيلية يمكن أن تنبت في جنب من جوانبها وتنبذ نبذاً. إذن فالعالم الاسلامي محكوم بالدين سواء في ماضيه أم في حاضره، ولو نظرياً على الأقل.

غير ان النقد الحديث لم يتناول هذه المباحث الا منذ عهد قريب لا يتجاوز بضعة عقود من الزمان، وعلى الاخص بعد ظهور « تاريخ الثقافة » - Kulturgeschichte - الذي ألفه العلامة الكبير « الفرد فون كريمر » Alfred von Kremer. ولقد نجحت الابحاث الحديثة تدرجاً وعلى مر الايام في أن تحرر من تقاليد الاسلام، وعمد البحوث وطلبة العلم، سواء في السياسة والشريعة، أم في الدين والحياة، الى التفريق بين النظريات والعمليات. ولقد حققوا بهذه الوسيلة أن الانتصار في المعركة التي قامت بين مطالب الدين ومقتضى العادات القومية، قد حالف الثانية دون الاولى، بل أثبتوا أنه في خلال الصراع الذي قام بين مختلف الآراء المتنازعة، لم يكن اللون الديني غالباً الا عبارة عن وضع أدبي، لا أقل ولا أكثر. وروا ان الشريعة الدينية لم تنشأ متطورة عن الاوضاع التشريعية العملية التي كانت قائمة بالفعل، بل أتت منابذة لها. ومن ثم اتضح ان بناء الامبراطورية العربية لم يكونوا يعملون على نشر الدين كسبب مباشر لفتوحاتهم على اطلاق القول، بل عملوا، في أول ما عملوا له، على تثبيت سلطة العرب الزمانية وتركيز سيادتهم فيما جاورهم من الامبراطوريات. ولا جرم أن جماع هذا يزودنا بمادة واسعة

(١) يشير الكاتب على الاخص الى ارنست ترولتش Ernest Troeltech

في كتابه

Die Soziallehren der christlichen kirchen (Collected Works Vol. I.)

ويعترف المؤلف بأنه مدين لهذا المؤلف بكثير من الفكرات التي عنت له في خلال هذا البحث من قراءته لهذه القطعة وغيرها من القطع المتناثرة خلال هذه المجموعة

تشبع بهم الفكر . لهذا يحق لنا أن تسأل ، حين نواجه هذه الحقائق ، اليست فكراتنا التقليدية التي ثبتنا عليها في حقيقة الدور الذي لعبه الدين كعامل من العوامل المكونة في الاسلام ، تحتاج الى تعديل وتحتاج الى اصلاح ؟ ،

وبعد فان هذه الشروح و التحليلات القيمة لا تترك للمؤرخ الذي يريد أن يفهم الحقائق على صورتها الصحيحة مجالاً للشك في أن الوحدة الاسلامية من ناحية ، وان بناء الامبراطورية العربية لم يكونوا يعملون على نشر الدين كسبب مباشر لفتوحاتهم من ناحية أخرى ، كلاهما دليل صادق على أن الخلافة نظام وراث عن الاسلام ، لانها من ناحية جزء من نشأته الاولى ، ومن ناحية أخرى أساس قامت عليه الفتوحات ، وتكونت من فوقه دعائم لامبراطورية العربية . وهذه الحقيقة التي حاول مؤلف كتاب ، الاسلام وأصول الحكم ، اخفاها ، قررنا هنا على الضد بما ذهب اليه ، ثم نحكم من بعد ذلك بأن نظام الخلافة نظام فاسد لا يتفق وروح هذا العصر



لم يبق بنا من حاجة لان ثبت ان الخلافة نظام اسلامي وراث عن بدايته الاولى . ولكن بنا حاجة لان نحلل نظام الخلافة ، ثم نعقب على ذلك بالكلام في موافقة هذا النظام للروح الجمهورية الديمقراطية التي اصبحت طابع هذا العصر .

الخلافة نظام شاذ كل الشذوذ . ليس هو بسلطة روحية فقط . ولا هو بسلطة زمانية فقط . هو نظام يجمع بين السلطين ومزيج من قوتين يجب ان تظلا مفترقتين . هو نظام الدنيا والآخرة حصر في يد فرد واحد ، فكان الحاكم بامر في الناس ، وظل الله فوق الارض معاً . خليط من حقيقة واقعة وأسطورة موروثه سلطة لا مسلط لها ، وقداسة لا سر فيها . ويراث عن بدايات كان لا بد للاسلام أن يقوم عليها ، ظلت قائمة في عصور اصبحت فيها ذلك الميراث عاملاً من عوامل الضعف في الاسلام . ومركزاً للتعصب لامبررله . وبؤرة تشع منها مفاصد الفقهاء ، فكانت على الاسلام حرباً وعلى المسلمين شواظاً من نار . قوة حصرت في يد ، وكان في الواجب ان توزع على أيد تتعاون على تسنم مدارج الحضارة . وفكرة تحجرت فتحجرت من حولها القول وعميت البصائر . لقب في غير موضعه ، وتاج مثل الارض والسماء . وصولحان

كانت كرتة العالم الاسلامي وفيه ثلاثمائة مليون من النسمات البشرية ، استعبدتهم الاماء والسراى ، ومن ورائهن الفقهاء . جمود لاحتركة فيه والفلك يدور ، وظلام لاضياء فيه ، والدنيا يتناوب عليها الليل والنهار . قمع للفكر واطلاق للشهوة . كبت للضمائر وحرية للاوهام . تمثيل للاسلام ثم تمثيل بالاسلام . فاحية للبناء فى الظاهر ، وأخرى للهدم فى الحقيقة .

والخلافة فوق ذلك نظام ورث ظاهره وترك ليه . فاصبحت ميراثنا ، بعد أن كانت بالبيعة فرصة انتهزها الانتهازيون من الفاتحين ، والمخاطرين من اللاعبين . مستقبل الشعوب فحصر وا فى يدهم سلطتين بعد سلطة واحدة ، ورموا بسهمين عن قوس واحد . ثم ورث ما استولى عليه الانتهازيون المجازفون ، فكان الميراث مقدساً كأصل الفكرة . وكل مقدس معبود على كل حال .

ولقد أوسعت هذه الحال مجال النفاق والكذب والترهات . بل فتحت المجال لفجرة آثمين أن يكونوا يوماً خلفاء يحملون اسم الملك واسم الله . فابناء غير شرعيين بحكم الدين صريحاً ، وقتلة آثمون منهم من قتل أباه ، ومنهم من قتل أخاه ؛ ومنهم من قتل أعمامه وأخواله ، استطاعوا يوماً أن يمثلوا محمداً عليه السلام فوق الارض ، وان يمثلوا الله تعالى فى السماء .

ولم يكن فى هذا النظام من سر سحرى جعل الناس يخضعون له خضوع العمى الذين لا يبصرون ، الإهالة من القداسة حوطه بها فئة العلماء والأئمة والفقهاء . فانهم بعد ان اقفلوا باب الاجتهاد فى الشريعة ، اقفلوا باب الاجتهاد فى اختيار أصالح أنواع الحكم المسائر لطبيعة الحالات . وبذلك تم لهم اخضاع العالم الاسلامى ، ومضى المسلمون يتوارثون هذا النظام جيلاً بعد جيل . فلما علامد الحرية على الشعوب الشرقية ، بان لاهلها أن هذا النظام مهما يكن فيه من روح الاسلام ، فانه غير ملائم لطبيعة الحالات والمقتضيات السياسية والاقتصادية . لهذا الغنى بثورة طاحنة ، فكان لخير الشرق والشرقيين الغاؤه . ولاجرم أن سلطة الفقهاء أخذت تتضاءل من بعد ذلك ، ولن يمضى زمان طويل قبل أن يتقلص ذلك الظل الكالح الذى حال معه لون الشرق وحال بينه وبين الضياء ، لولاه لقاد الشرق العالم الى حضارات جديدة ، والى صور من الرقى لم يألفها العالم حتى الآن .

و بعد . فليس لنا أن تورط في البحث لاكثر من هذا . فان العوامل التي أثرت في عقلية الشرقيين وحالت بينهم وبين الارتقاء معدودة معروفة . ولكن هذا لايجوز دون القول بأن الشرق قدخطا بالانسانية من العصر اللاهوتي الى العصر الميتافيزيقي ، وكان لابد دالف بقدمه يوماً الى العصر اليقيني ، لولا تلك العوامل السوداء .

ان هذه الاشياء نماذج عقلية فصلها ، كونت ، في فلسفته أحسن تفصيل . وهي فوق ذلك نماذج لها تدرجاتها الدقيقة المتعاقبة التي لايمكن أن يبلغ الانسان اليها فجأة ، بل تدرجاً وبتهيئة ظروف وحالات لا يمكن أن تدرك كيف تنشأ ولا كيف تتكون في تضاعيف الفكر البشري .

إن العقلية الاوروبية الحديثة لم تكن نموذج الفكر قبل ثلاثة قرون . والدليل على هذا أن العقلية الاسيوية قد اتحلها الاوروبيون من أهل النصرانية الى عصر كوبرنيكوس وغاليليو . نعم انها لم تؤثر في الوارثات الاجتماعية ، ولكنها أثرت تأثيرها البالغ في الفكر الأوروي . لهذا تترك البحث في هذه العوامل لرسالة أخرى نعقدتها في مثل العقيلة القديمة في الشرق والعرب .

حرية الفكر

قد يخيل الى الذين يمعنون في درس هذا الكتاب ، والوقوف عند مرامية وفتات تأملية طويلة ، أن الشرق قد تحرر فكره بالفعل ، بقيام بعض زعماء يدعون الى الحرية الفكرية ، وأقادة قضوا على بعض التقاليد القديمة التي كانت حائلا بين الشرق وبين الارتقاء .

نعم . لانسكر أن الارتقاء أصبح معبود فئة من رجال الشرق خصوصاً بارقي المميزات الانسانية ، وأنهم في ذلك قد جاروا الغرب واتحلوا عنه أساليبه التي اتخذوها وسيلة للارتقاء . غير أننا لايجب أن ننسى أننا مع هذا قد ورثنا عن الغرب جمود أهل المذاهب ، والظاهر أنه من المستحيل على العقل البشري في حالته الحاضرة أن يتخلص من المذهبية على وجه عام .

فاذا كان الأتراك قد حرروا الحكومة ونظام الدولة من الخلافة ، واذا كانوا قد اتخذوا الامة من مخالف الفقهاء والائمة ومن المدارس والتكايا والقبور ، وعلى الجملة من المذاهب القديمة ، فانهم لم يخلصوها ليركوا لها الحرية واسعة مفتحة الابواب

مفهومة على قدر كاف، يميز للفكر أن يكون حراً في جولاته المترامية، بل إنهم خلصوها من مذهبيات قديمة ليلقوا بها في أحضان مذهبية حديثة هم يمثلوها. أمذهب القومية بالغة أقصى مبالغ التطرف والبعد عن الاعتدال. وفي سبيل هذه المذهبية أعيد الاستبداد القديم ليدافع عن مذهبية جديدة. فكان القتل والشنق وخنق الحرية باسم الحرية وكذلك الحال اذا رجعت الى روسيا الشيوعية. فان في نظامها من المذهبية ما فيه فضلاً عما تستشم فيها من روح الكشلكة الرئيسية في النفوس والبعد عن مطاوعات الشك واللا أدوية الفائضة بصور المرونة الفكرية ولن نتخلص من المذهبيات لاني السياسة ولا في الدين ولا في النظام والمبادئ الاجتماعية. فكان الاستناد الى مذهبية ما، صفة ملازمة لتطور الجماعات. وهي من النظم التطورية النشوية، كلاهما ضروري لحماية ما يخبل للناس أنه الاصلح والائتم نظاماً والافضل بقاء في حيز الاشياء الانسانية. فان المذهبية والجمود يحولان لدى الحقيقة دون التطورات الفجائية والطفرة في الانتقال من حال الى حال بما يفسد نظام الاجتماع (١).

لهذا قضى بان الشرق قد وثب الوثبة الاولى، ولكنه لم يتحرر بعد تحريراً يمكنه من مسايرة خطوات الحضارة الحديثة، تلك الخطوات التي تتطلب، على ما اعتقد، قدراً كبيراً من المران على الحرية واحترام الفكر مهما كان مصدره

تلك إحدى صور المذهبية. على ان هنالك صورة أخرى عكفت عليها المدارس القديمة، ولم تستطع المدارس الحديثة التخلص منها. لقد عودتنا المدارس القديمة، تحت تأثير التقاليد، ان تقبل كل ما يقال على انه الحق، وعلى الاخص اذا صدر من أئمة يعلون الى صغار يتعلمون. فنشأت الاجيال خاضعة لهذه الضرورة، ضرورة تقبل ما يقال على انه الحق وانه الاصح وأنه الاولى بان يعرف حالة عكفت عليها المدارس القديمة، ولم تتخلص منها المدارس الحديثة. خضوع

(١) راجع مقدمة كتابنا بين الدين والعلم المترجم عن ديكسون وايت وسيظهر

للسلطة سواء أ كان مصدرها فقهاء يدرسون شريعة الله ، أو معلمين يلقتون مبادئ العلم . ولم يقتصر الخوض لهذه السلطة على الأفعال ، بل تناول الآراء والأفكار والمبادئ ، على قاعدة ان الذين يلقتون الشرائع والعلوم رجال أخلصوا العمل لله من ناحية ، وللعلم من ناحية أخرى . وبذلك قتلت فضيلة الشك النفوس ، فكان الذي يشك أو يسأل أو يحاول أن يفهم ما يقال أو يحاول فهم ما لا يفهم ، يعتبر مريض النفس والمنازع فيعمل معلومه بكل جهد مستطاع لكي يشفوه من هذا المرض العضال مرض الشك فيما يقال والجدال فيما لا يفهم .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد : فليس سلطان التقاليد مقصور على الأب في البيت وعلى المعلم في المدرسة ، بل يتعدى الى الرققاء في المدارس والمعاهد وكلهم شبوا خاضعين لتقبل ما يقال على انه الحق ولا حق سواه ، وبذلك يفشو مرض « التصديق » منقولا عن مجموع الرأي العام في المدرسة أو المعهد ، الى عقل الشكوكين فيما يلقي عليهم ، وبذلك لا يلبثون أن تتلفهم العدوى . فيصبحون من أكثر الناس تقبلا للتقاليد على ما نقلت اليهم ، وعلى الصورة التي قذفها الازمان . وكذلك لا يجب أن نغفل عن أن الافلات من هذا القانون ، له قانونه . ولكنه قانون صارم شديد قلما يتفق لعقول ناشئة أن تتمكن من تنفيذ مواده الحثيثة التي تنوء بها أكبر العقول ، بله الناشئة اللينة وهذه صورة أخرى من صور المذهبية تحول بين الفكر وبين الحرية الصحيحة . ذلك لان هذه المذهبية تقوم على السلطة . وعندى أنه لهذه المذهبية ثلاثة أركان :

الأول : الاعتقاد بان الذي يلقتنا انما يلقتنا الحق بقدر ما وصل اليه علمه

ثانياً : الاعتقاد بانه أقصى ما وصل اليه علمه هو حد المعرفة ، الصحيحة .

ثالثاً : النزعة إلى العمل بمقتضى ما يلقتنا ، تحت تأثير الاعتقاد بأن ما يلقي اليها

به صحيح

وعلى الجملة تنحصر طرق التلقين في ثلاثة أشياء : في التصديق أولاً ، وفي فهم

ما يقال ثانياً وفي الطاعة لما يقال ثالثاً

على هذا جرت المدارس القديمة . على أن المدارس الحديثة إن عجزت عن التخلص من هذه المناقص فانها أجازت حرية الفكر ، وأطلقت العنان للخيال الذي هو أساس الوصول إلى الحقائق العلمية والقضايا المنطقية على وجه عام .

بجانب هذه الصورة الكريهة ، تقوم سلطة الحكومات تحمي الاساطير وتصوب
 نارها وحديدها شطر كل من يجرأ على التشكك فيها أو الدعاية إلى ما يناقضها . على
 أنى لأعلم فيما يخرج عما يجب أن تنتهي عنده سلطة الحكومات من شئ . هو أبعد
 عن بديهية العقل من حماية الحكومات للاساطير والتقاليد تحت عنوان أن الحكومات
 وهي شخص معنوي حرف ، ديناً تدين به وتتخذة على نفسها علماً تتعت به ، فيقال
 حكومة نصرانية وأخرى وثنية وثالثة اسلامية ، وغير سبب لغير حاجة تدعو إلى ذلك
 ليس لهذه الحاجة التي تلجأ اليها الحكومات من سبب تعود اليه الا الوراثة
 القديمة عن حكومات دينية ، انتقلت باللحاق إلى الحكومات المدنية . وهي فوق ذلك
 حاجة موهومة لا ضرورة لها في قيام الحكومة ولا في احتفاظها بسلطانها وقانونها
 نافذاً في رعاياها . ومن أغرب الاشياء أن الحكومات قد تلجأ في بعض الاحيان إلى
 ضرورة التغيير في الاسس التي يقوم عليها الدين فتلغى وتثبت ، وتنفي وتضع ،
 أشياء ليست من الدين الرسمي في شئ . ومع هذا كله تدعى الحكومات بانها دينية ،
 وانه لها ديناً رسمياً يحترم ازاء العية ولا يحترم ازاء سلطانها الشامل كل شئ . في حدود
 أرضها .

ان هذا العصر الذي فتح للناس أبواب الحرية ، واجاز العمل والتفكير في حين
 القانون الوضعي ، والذي جعل السوق والسمسار في سوق الاعمال وعلى الجملة كل
 فرد من الأفراد يتطلع إلى كرسي الوزراء أو رئاسة الجمهورية ، هذا العصر نفسه لم
 يجر للناس أن يقولوا ما في عقولهم على الوجه الاكمل من الحرية . فان نظرية يدلى
 بها شخص من الاشخاص كافية لان ترفعه إلى أعلا مراتب الحكم أو تكون قاضية
 عليه بالتسول في الازقة والطرقات . وفكرة قد تحمله إلى مصاف القديسين ، أو تلقى
 به في غياهب السجون أعواماً يكفر بها عن ذنب الخروج على التقاليد الثابتة الموروثة
 وراثته ، لا الموضوعية وضعاً أساسه العقل والحقيقة

وهذه الاعترافات على ما فيها من صعوبة التحليل بينة غير غامضة بل هي جلية
 الغايات واضحة السبل . وما أتينا على ذكرها هنا الا لنظهر على وجه الاختصار
 ما يعاينه الغرب ، وقد أخذنا ندلف بقدمنا في مفاوزه الواسعة المترامية الاطراف .

العقلية التركية الحديثة

مثال العقلية السليمة

في تركيا الآن ثلاث مدارس ، تتعاون ولا تتناذب ، وتتساند ولا تتجادل .
 ويمثل كل من هذه المدارس مؤلف من كبار المؤلفين وباحث اجنماعى من أئمة
 الباحثين الذين للشرق أن يفخر بهم ، وان يشيد بذكورهم ، وأن يتخذهم مثالا
 يحتذى في حرية الفكر ودقة البحث وسمو النزعة والتخلص من آثار التقاليد
 التي ظلت حتى الآن مغشية على الفكر الشرقى باغشيتها الثقيلة .

فالمدرسة الاولى تمثلها المؤلف العظيم الاستاذ قاييل آدم . وقد شرح مبادئها
 في كتابه الذى سماه كتاب « مصطفى كمال أو كتاب الرجال الذين هم من طابع
 مصطفى كمال » . وهذه المدرسة تمثل أقصى التحرر من تقاليد الماضى وتضرب
 على وتر القومية والاصلاح القومى بدون نظر الى الماضى الذى يجب ان تتخلص
 منه الشعوب الشرقية نخلصاً كاملاً ، وتنتحل العقيدة الغربية الحرة من كل أثر
 من آثار العقلية الاسيوية القديمة . وقد ظهر هذا الكتاب فى الاستانة
 سنة ١٩٢٦ .

اما المدرسة الثانية فيمثلها الاستاذ الأشهر والكاتب القدير جلال نورى
 بك . وقد شرح مبادئها فى كتابه المسمى « الثورة التركية » - وهو يختلف عن
 الاستاذ « قاييل آدم » فى أن ذلك يضحى بكل المبادئ الدينية فى سبيل
 المصالح القومية . فى حين ان نورى بك يرى أن أقوم طريق هو إصلاح الدين
 الاسلامى اصلاحا يتمشى مع المصالح القومية . وهو مع هذا لا يريد انه يظل
 مسلماً بالمعنى الاسيوى الذى ورث عن مكة وبعداد ، بل يقول بأنه من الممكن
 ان يظل المرأ مسلماً اذا أصلح الاسلام اصلاحا تتطلبه مقتضيات العصر

الحديث والحاجات الوطنية . هو يعتقد أن اصلاح الاسلام على التواعد التي شرحها في كتابه هو الطريق الوحيد لخلاص تركيا والامم الشرقية الاسلامية عامة .

والمدرسة الثالثة يمثلها الاستاذ الكبير رفيق صدقي بك في كتابه المسمى « الثورة التركية أزاء الثورات » - وقد ظهر في القسطنطينية سنة ١٩٢٧ . وقد اتبع في كتابه طريقة المقارنة التاريخية ، فاحاط بتاريخ الثورات التي شهدتها العالم في القانون والحياة الاجتماعية والدين وحرية الفكر والمعتقد والسياسة والآداب ، وحاول أن يحدد موقف الثورة التركية ازاء هذه الثورات . ومن هنا ترى أن هذه المدارس الثلاث تناظر على وجه أكمل ثلاث مدارس تقوم عليها العقلية الاوروبية . فالاولى مدرسة التحرر الكامل والعقل التام للعقل الانساني ، والثانية مدرسة الاصلاح المستمد من ميراث القرون الوسطى ، والثالثة مدرسة الاقيسة التاريخية . وقد نشأت هذه المدارس في أوروبا وبتحذرت مرات عديدة على مقتضى تكيف المصدر ومطالب الزمان والمكان . ولكن مبادئها ظلت ثابتة متصلة في تضاعيف العقلية الغربية ففازت أوروبا من طريقها بتأسيس هذه الحضارة التي هي أعجب الحضارات التي شهدتها السيار الأرضي .

وليس لنا أن نمضي في شرح مبادئ هذه المدارس الثلاث . بل نرى أن أقوم سبيل هو أن نقتطف من الكتب الثلاثة التي تمثل هذه المدارس العظمى مبادئها الأساسية تاركين للقراء والباحثين أن يستوغلوا امعاناً في التفكير فيها ليفوزوا منها بلبها دون القشور

ooo

على أننا لانكون بعد هذا الاظالمين لانفسنا إذالم نصرح بان العقلية التركية الحديثة التي تقوم على هذه المدارس الفكرية الثلاث ؛ والتي تستأثر اليوم ، على

اختلاف نواحيها بالعقلية الاصلاحية في تركيا ، هي مثال العقلية السليمة التي لا يمكن للشرق أن يخلص من مصائبه الا بالعكوف عليها والتثبت من حقائقها واتباع موحياتها في الحياة

(١) مثال المدرسة الاولى

الاستاذ قايل آدم

(١) ان العقلية الاوروبية هي العقلية التي تتسق وحاجات هذه الحياة الدنيا. ونحن انما نتبع وحي هذه العقلية بحكم أننا وجدنا في هذه الحياة . اما العقلية الاسيوية ، فالعقلية التي تلائم الحياة الآخرة . فاذا انتقلنا إلى الحياة الباقية ، فهناك نتبع وحي هذه العقلية (ص ٣)

« ان الامم الحية في العصر الحاضر تعيش فيما يلي الحدود الغربية من الشرق . بينما يعيش في الشرق بمجموع من الامم لم يعترف لمن بحق الحياة في عصر من عصور التاريخ . ان الناس في الشرق وفي الغرب يتفقون في كل الصفات العضوية ، فلكل منهم رجلان وساعدان . فمن أين أتى ذلك الفرق البين الواقع بين الناس في الغرب والشرق ، (ص ٤)

لاشبهة في أن الغرب وحده هو الذي يتمتع الآن بأسعد حالات الحياة ، وفيه أقوى النظم الحكومية ، والحياة فيه أقرب ما استطاع إلى ما يجب أن تكون عليه الحياة الانسانية . إذن يجب علينا أن ندرس فن الحياة الغربية لنعرف حقيقةتها ؛؛

لقد أستأنست أمريكا واعترف لها بحق الحياة من طريق العلم الغربي ، وتحضرت اليابان بأن اتبعت وسائل العقلية الغربية . وكذلك بمالك البلقان فانها درست هذا الفن وقبلت مبادئه ، فاستطاعت أن ترفع عن كاهلها نير الاستعباد فلا مرية إذن في أن هذا الفن جرب واختبر ، فدلّت نتيجة التجارب العديدة على صدق موحياته

لقد ناضل رجال الغرب ضد رجال الدين وصارعهم ، لا لشيء ، إلا ليفوز بتكوين هذه العقلية ، وما زال يصارع ويناضل ، حتى استطاع أن يقيم للحياة فناً جديداً ، هو الآن قبلة الغرب بل ومعبوده الأعلى لم يكن لمذاهبنا القديمة سوى قاعدة منطقية واحدة ، ولم تتكون فيها سوى عقلية بعينها . وتلك القاعدة ، وهذه العقلية ، لم ينصرفا طوال الأعمار عن شيء واحد . هو أن يرجعا بكل شيء استنتاجاً واستقراء إلى الكتب الدينية . هذا بينما كانت العقلية الغربية تنظر في الحياة بعين إنسانية ، وتنظم الحياة على مقتضى ما ترى هذه العين من حقائق الوجود . وإنه لمن أشد الأشياء خطراً أن نبحث الحياة الغربية بعقلية شرقية . لأن من الجائز أن أن يغوينا هذا النهج ، فنقبل جزء من مجموع الحياة الغربية ، أو أجزاء نكيفها تكييفاً خاصاً أو نرفض قبول ناحية من نواحيها ، أو نكل تطبيق شيء إلى المستقبل ، ثم نقول إن لدينا من الحياة الغربية أجزاء وتنفأ . وما من شك في أن هذا النهج كان سيأفي وقوع أكبر المصائب وأعظم الكوارث التي اتت الشروق في الماضي . ولقد عملنا بأقصى الجهد لكي نوقف بين الناحيتين ، فدلّت التجارة على أن التوفيق بينهما مستحيل . فان أهل الغرب إنما يعتقدون بأن الناس للناس - (أي إنسانيون) بل إن مطامعهم الأولية في الحياة تنحصر في أن يعيشوا في هذه الدنيا على أكمل وجه تتطلبه الرجولة الكاملة . أما أهل الشرق فمؤمنون بأن الناس ملك لله ، ويحاولون دائماً أن يحققوا وجود الحياة الأخرى في هذه الحياة . ولا جرم أن هاتين النظرتين لا يمكن التوفيق بينهما (ص ٧) على أننا لم نعترف بهذه الحقائق في الماضي ولم نواجهها بما تتطلب من الشجاعة الأديبة والاستقلال في الرأي . ومن هنا كنهجاً أنفسنا في أشد الاحتياج لأن نصطبغ بصبغة العقلية الأوروبية الحديثة . وما من سبب لذلك التناوب الشديد الذي قام بين فريقَي الأمم الشرقية (فريق

الجامدين و فريق المجددين على النمط الغربي) إلا وجود هذه العقلية في ناحية ، حيث تقوم في ناحية أخرى العقلية الدينية العربية . وهذا أخطر ما يتعرض له الشرق من الاحداث

(٢) لم تسلم الامم الاسيوية يوماً من الفقر والتعاسة . وليس لهذا من سبب سوى أنها اعتادت ان تستقرى أحكامها المعاشية كلها من تشريعها الديني المقدس . ولن تقف على طابع آخر غير هذا اذا ما قلبت تاريخ مصر والهند وفارس واليابان القديمة والصين وطوران وبلاد العرب . فان هذه الامم لجهلها قد نسبت لامرائها وسلاطينها . أولغيرهم من مقدمى الانتهازين ، صفات قدسية حيناً ، أو سلطة ايجائية حيناً آخر وكان من نتائج هذه العقلية أن تردت الامم الاسيوية في وهدة التعاسة والشقاء (ص ١٤)

أما المعركة القائمة اليوم فوجهة بكل ما فيها من قوة الى القضاء على هذه العقلية الاسيوية . والحالة جليلة واضحة فليست تجد في أوروبا مثقفاً أو غير مثقف ، يمضى في أعماله متوكلاً على سلطة الوحي . أما في آسيا فانك لا تجد شيئاً اللهم الا الانبياء والقديسين والحكام الذين يستمدون سلطتهم من الله مباشرة . تجد الاوامر والنواهي القدسية متغلغلة في تضاعيف العديد الاوفر من الشؤون الخاصة الصرفة للناس ، محكمة في كل وجه من أوجه حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والادارية . ولديهم ان هذه الاوامر والنواهي هي أوامر الله ونواهي ، وعلى هذا لا يمكن تبديلها أو تكيفها . فاذا تبدل الزمان وتكيف ، وجمدت هذه الاوامر والنواهي مقصرة عن اللحاق بروح العصر نشوء وارتقاء ، فلا تجد من شيء اللهم الا بنياً آخر مراسلاً بتعاليم جديدة . ولا مريية في ان تتابع ظهور الانبياء في آسيا طابع خاص بها ، ولا تفضلها فيه بقعة أخرى من بقاع الارض (ص ١٦)

على ان أعجب ماترى في كل هذا ، ان كل نبي من هؤلاء الانبياء قد نصح
واهاب بهم ان ينكروا حقيقة هذه الحياة بكل ما فيها ، وان يتلظوا حرقة الى
الحياة الآخرة . وفي هذا ينحصر كل ما يقصد بوذا من الزفانا ، وكل ما يقصد
الاسلام والنصرانية واليهود من الفردوس (ص ١٧) وهذه العتلية قتلت في
الشرق فكرة النقد . كما غشت على القول والافهام بأغشيتها الثقيلة
بيد ان هؤلاء الانبياء الذين حكموا الدول وساسوا الممالك لم يقنعوا بان
يفرضوا على الناس اوامر الدين ونواهيها ، بل صبغوهم باخلاقهم ، ودهنوهم
بطلائهم . فان الاسلام مثلا ، قد صبغ المسلمين ، فضلا عن الدين ، بصبغة
الحياة العربية الاجتماعية في كل مكان وآن ، واضطر الناس ان يقبلوا مذعنين ،
لا الله والدين وحدهما ، بل حياة العرب العائلية والاجتماعية والخلق العربي
والعادات العربية بصورة كلية ، واللغة العربية بصورة جزئية . كذلك لم يفرقوا
بين الدين والقومية . فان الدين والقومية ظلا في الشرق شيئا واحدا طوال
الازمان . ولهذا لا تقع في الشرق على حركة اجتماعية صبغت بالروح القومية
على اطلاق القول (ص ١٨)

لقد لعن بوذا هذه الحياة . وكذلك مذاهبا القديمة . فانهم لم تعمل إلا لتمهد
الطريق للحياة الاخرى . ولقد أخذت أمم آسيا كلها بموجيات هذه التعاليم
النظرية . وعلى هذه الطريقة قيد « اللاما » ، « أمة الصين » ، « البراهمة » ، أمم الهند ،
« والآخوند » ، « أمة الفرس » ، وأمة الاسلام العالم الاسلامي . اما العقلية التي اختفت
وراء هذه التعاليم فتكون في الاعتقاد بما يأتي : —

- (١) ان الحقيقة لا يمكن معرفتها بالعقل بل بالتقاليد
- (٢) ان الحياة لا يجب ان تحكم بمقتضى المبادئ الانسانية المستمدة من
غرائز الانسان ، بل بمقتضى الشرائع المنزلة التي لا تتبدل ولا تتغير
- (٣) هذه الحياة فانية ، والاخرى باقية

(٤) نسبة كل شيء الى القضاء والقدر

(٥) رفض الاعتقاد بضرورة الحياة القومية ، والعكوف على الخضوع للتقاليد الدينية .

(٦) الخضوع الكامل للرئيس الرومي .

وهذه القيود الحديدية والاصفاد الثقيلة لم تترك للأهم الاسيوية من فرصة للخلاص . ولقد كانت هذه العقلية بمثابة تجربة حاول واضعوها ان يعرفوا إن كانت بذاتها وسيلة ناجعة للقضاء على الحياة وعلى الانسانية . ولا مريية في انها قطعت كل علاقة كائنة بين الناس والحياة الدنيا (ص ١٩)

ولما كانت علاقة الانسان بهذه الحياة متينة ، وأواصره بها لا تنفصم ، لم يكن هناك من سبيل لكي تعيش هذه العقلية وتحياه إلا بان يقتل العقل الانساني وبلغى من هذا الوجود . ولو لا هذا لظهر سريعاً ان الشرائع المنزلة لا تتفق وحقائق هذه الحياة . لهذا لم يتوان مشيدو العقلية الاسيوية و واضعو قواعدها ، عن أن يجعلوا أساسها الاعتقاد بان الحق في هذه الحياة تقليدي لا عقلي . واكن تتساءل ماهي التقاليد ؟ ولماذا لا يكون لدينا من الحرية ما نستطيع به ان ننظر في هذه التقاليد نظرة تحليل نحكم فيها العقل ؟ تلك التقاليد التي لم تسم بنا يوماً الى أفق السعادة والحرية والثروة ومعرفة حقيقة الانسانية ، بل كثيراً ما عضدت أسباب التعاسة والشقاء وقوت جذور شجرة الاستبداد التي تمتع بشمراتها الرئيس الروحي خلال كل الازمان . وبما ان هذه التقاليد لم توضع إلا لتطبق على الانسان عملياً ، فان العقل الانساني يحس ضرورة بانه مقسور على أن يبحث في أصلها ونشأتها وماهيتها ، ليعرف ان كانت التقاليد سموها قاتلة ، أم انها عقاقير لقمان السحرية ، (ص ١٩)

ان من أبلغ السفسطة ان تقول بان العقل الانساني لا يستطيع أن يدرك الحقيقة . إن كل الذين أوصلوا اليها هذه التقاليد و بثوها في نفوسنا ، قد اتخذوا

العقل الانساني وسيلة لبثها . وما هذه التقاليد لدى الواقع الا مجموعة من السخف
لا يمكن أن تقاوم قوة النقد ساعة واحدة ،

« لم يكن في استطاع أحد من ناقل هذه التقاليد (الانبياء) أن يوحى
الينا برسالة تساعدنا على اختراع آلة من الآلات أو استكشاف الكهرباء
أو البواخر أو الطائرات أو التليفون اللاسلكي أو مبادئ الطب التي تساعدنا
على مقاومة داء السرطان أو السل أو غيرها من الامراض . ولقد ثبت في
روعا اليوم أن ما يجب أن يوحى الينا به من العالم المجهول إنما ينحصر في
مثل هذه العلوم لخير الانسان والانسانية ،

« إذا قلبت تاريخ آسيا برمته منذ أبعد العصور الى اليوم لما استطعت أن
تلتقي في سفرك الطويل بقديس واحد من أولئك القديسين الذين اتخذوا العلم
للقداسة طريقاً . في حين أن تاريخ الدنيا يفيض بذكر الكثيرين ممن هم من
هذا الطابع الخالد . أولئك الذين استكشفوا الحق وعرفوا الحقيقة . أولئك
الذين آمنوا بأن الحق عقلي لا تقليدي ، لا الذين ظلوا طوال الاعصر ينتظرون
الوصول الى الحق من طريق التقليد . ولاشبهة في أن رجال آسيا ، وهذه
عقليتهم ؛ لا يستطيعون أن يدركوا من الحقيقة شيئاً ، (ص ٢٠)
« تساءل لماذا لم يكن في مقدور المذاهب الاسلامية أن تنقذ الامبراطوريات
الاسلامية التي سقطت على التوالي وأخصها الامبراطورية التركية مثلاً؟ والجواب
أن ليس لهذا من سبب إلا أن عقليتها قد عكفت على الاعتقاد بان الحق تقليدي
صرف . أما العلم اليقيني الحديث فيعتبر أن هذه العقلية سم قاتل . لانها بعد
أن تحتم في الفرد وتستقل بوجدانه وتبعده عن التفكير في أمر نفسه ؛ يكون
في استطاعها أن يجعله يعتقد بصحة أية من الاحكام الدينية فيما يتعلق بحياة
الاسرة أو نظام الحكومة . وهذه العقلية هي السبب المباشر فيما تري من سوء
النظام والعادات القبيحة كتعدد الزوجات في الحياة العائلية ؛ وانقسام الناس

الى أحزاب وطوائف في النظام الاجتماعي في الشرق كله ، (ص ٢٢)
 « أنظر في نظام الحكومات أو تاريخ الشعوب التي مضت عاكفة
 على هذه العقلية . فإذا ترى ؟ ملك مستبد بعيد عن التقييد بما توجهه الشرائع
 الادبية ؛ منعوت دائماً بأنه ظل الله فوق الأرض ؛ وقصر منيف الظاهر مشمخر
 البناء ، وما هو في الحقيقة إلا دار بغاء رسمي تملأ جوانبه السراري والجواري .
 بل أنهم عبارة عن مجموع من أبناء البشر تعساء بعيدين عن حقيقة الحياة ، (ص ٢٥)
 « ان أهل الكلام من المسلمين لم يعنوا بتحرير الضمائر والافكار ، كما أن
 التشريع الاسلامي لم يحب أهل الاسلام بحق الحياة والعمل . بيد أن كل الامم
 الاسوية قد حكمت بنظومات وتعاليم دينية ، وكل القوانين التي فرضت على هذه
 الامم ، قد استمدت من هذا النبع وحده . ولما كانت هذه القوانين بمقتضى
 ذلك غير متغيرة ولا متحولة ، قد قاومت في كل عصور التاريخ جولة هذه الامم
 نحو النشوء والارتقاء ، كلما حاولت أن تخطو نحوه . إن أهل الكلام قد أعاقوا
 العقل عن النماء والتطور ، كما أعاقت النظم التشريعية تطور الشعور الاجتماعي ،
 فنتج عن ذلك ان أصبح من أقصى المستحيلات أن يقع في آسيا انقلاب ثوري ؛
 لافي الصورة العقلية ، ولا في النظام الاجتماعي » (ص ٢٦)

« تحت تأثير هذه العقلية قيدت الارادة . فقتلت حيناً ، وأعطيت من الحرية
 قدرأ ضئيلاً حيناً آخر . في حين ان الارادة الالهية ظلت طوال الاعصر القوة
 الحاكمة بأمرها ، وردت الارادات والاسباب جماعها الى القضاء والقدر الذي
 تصرفه القوة القدسية الغيبية . وهذا هو السبب فيما يدعى « بالبطالة الشرقية »
 تلك الصفة التي يناظرها ما نسميه « الحضارة الاوروبية » ، ،

« ان كل ما حاول الغرب أن يصل اليه من طريق الاكباب على درس العلوم
 اليقينية ، حاولت الامم الاسوية أن تبلغ اليه من طريق الاناشيد والصلوات
 والسحر والارواح ،، (ص ٢٧)

• جب نواحي آسيا وفتح باب أي قصر من قصورها الفخمة الضخمة ؛
فانك لا تجد الا قطعاً من رجال ونساء اتخذوا الزنا حرفة في الحياة . وهذه هي
بعينها حال الخليفة والامام والمشايخ . ان هؤلاء الرؤساء الذين أمروا الناس بان
يصوموا وان يتعبدوا ابتغاء وجه الله ، وفي الوقت ذاته صرفوا الناس عن كثير
من خيرات هذه الحياة ؛ لم يكن لهم في حياتهم الداخلية من بغية اللهم الا الحصول
على اللذات البدنية من أية طريق وبأية وسيلة . وهذا التناقض الواقع بين
ما يأتون من فعل ؛ وما يتفوهون به من كلمات ، قد دل على خبثهم وخيانتهم
وقسوتهم بعقول الناس ، وكان في الوقت ذاته سبباً في أن تحتكم النزعات السفلية
من خيانة وفجور في إدارة الحكومات . ولهذا تجد أن هذه قد مضت مستبدة
بأمرها في كل طبقة من طبقات السلك الحكومي ، حتى لقد اعتبرت الحياة ، كما
اعتبر الغش والخداع ، من الامور المشروعة ؛ تأييداً للآرب الذاتية وخدمة
المصالح الافراد (ص ٢٨)

لم تكن الديانات في تاريخ آسيا كله الا حركات رجعية املتها الغيرة التي
نزود بها كل رسول جديد ضد الرسل الاقدمين . ان ديانات آسيا كافة
واحدة في جوهرها . فان تعاليم كونفوشيوس وبراها و موسى وعيسى ومحمد
كلها واحدة . فان اختلفت فانها انما تختلف في التفاصيل لا في القواعد
(ص ٣٠)

هذا هو الحق الذي تقع عليه كلما قلبنا تاريخ الأمم الآسيوية . لقد خضعت
آسيا لهذه العقلية ، ولم يكن لديها من القوه الذاتية ما تستطيع به أن ترمي عن
كاهلها ثقل هذه التقاليد . اذن فلا سبيل إلى الخلاص الا بلاقح يستخلص
من العقلية الأوروبية . وهذا هو السر فيما نرى من تقدم اليابان المدهش
خلال الخمسين عاماً الفارطة ، إذا قسنا تقدمها بتقدم الصين مثلاً . ان الصين
لا تزال إلى اليوم واقعة تحت تأثير الذهنية الآسيوية . أما اليابان فقد نفضت

عن كاهلها هذه الذهنية، واستعاضت عنها بالذهنية الاوروبية اجمالاً وتفصيلاً .
 ولقد يظن البعض أنه من المستطاع أن تحوز الامم هذا التفوق الكبير من
 طريق الاستعانة بالعلوم العملية وحدها . غير أن هذا مستحيل . لأن
 المسألة مسألة عقلية تتناول كل بناء الفكر والعواطف والمشاعر والحياة ،
 تنكشف وتترا كز خلال الاجيال . إن « العقلية » كل لا يمكن تجزئته إلى
 أقساط وتنف . وعلى هذا وجب أن تلغى العقلية الاسيوية كلية ، لتحل محلها
 العقلية الاوروبية في مجموعها . ولن نجد للخلاص طريقاً آخر ، (ص ٣١-٣٢)
 (٣) الاتراك أمة اسيوية . ولذا كان من الطبيعي أن يعيش الشعب
 التركي وأن يعمل متأثراً بوحى العقلية الاسيوية وانما ينحصر غرضنا الآن
 في أن نبحث حياتنا وتاريخنا لنرى كيف زودتنا الثورة الاخيرة بحياة
 جديدة ، وأن نفهم طبيعة تلك الواجبات والالتزامات التي فرضتها علينا
 عقلية الثورة ، ولتحكم على مقدار ما هو مطلوب منا من تضحيات ، حتى
 نستطيع أن نغرس هذه العقلية في نفسية الشعب بشكل قاطع ، (ص ٣٣)
 « لقد عودنا على أن نلقن باننا عبيد الملك ، ظل الله فوق الارض ، وانا
 له ملك ومتاع . وهذا يتضمن بالضرورة الاعتقاد بأنه ليس لدينا من شيء .
 يمكن أن يقاوم قوة خليفة الله الواحد القهار ؛ المتربع فوق عرش الارض ،
 وانه لن يكون من نظام اجتماعي أثبت أصولاً من اجتماعنا ، ولا حياة دنيوية
 أسعد ولا أمتع من حياتنا . بينما كانت الحقائق الملبوسة توحى لنا كل حين
 بأن في انحاء مملكتنا فقر وجوع . وان جزء بعد جزء من أطراف
 الامبراطورية كان يؤخذ عنوة و رغماً منا نهياً واغتصاباً ،
 « وكانت لنا حكومة هي أضعف من أحط الحكومات الاوربية ، متردية
 في حماة الرشوة ، مفككة الاوصال مضطربة الاحوال ، بعيدة عن حكم
 الشرائع والآداب . وكنا نستجدي الغرب في كل شيء نحتاج اليه . ومع كل

هذا فقد كان لدينا « ظل الله فوق الارض » وأربعون زوجة من زوجاته ،
وأربعون غلاما بمن تعرف ولا أذكر ، لا شغل له إلا أن يحمل الشعب على أن يتجرع
فكرة اللجنة ونعائما على ما وضعها رجال المذاهب القديمة ، كان قد أصابنا الانحلال في
الداخل ولم يكن لدينا من سبيل لكي نفهم الحق وأن نعرف الحقيقة ، إلا بأن نتصل
من طريق ما بالمعرفة الاوربية ، وأن نعرف بتفوق العقلية الغربية ، وأن نكب
على درس الاسباب التي غرست الشقاء والتعاسة في أرض من كنا نعتقد أنه
« ظل الله فوق الارض » . ولما فعلنا ، بان لنا أن « ظل الله فوق الارض » لم يكن
شيئا ، اللهم إلا صنما منقود القوة والروح ، كأى صنم من أصنام بوذا في الهند.
وكان لنا بمحمد أسوة . فكما أنه حطم أصنام مكة والمدينة ، كذلك نحن حطمنا
اصنام الخلفاء والمذاهب القديمة والتكايا والقبور . هذا هو معنى الثورة . أما
منافعها فسوف تكون عظيمة لخير الامة وسعادتها في المستقبل » (ص ٣٤)
« إن الامبراطورية التركية القديمة كانت دولة دينية . لقد تبذلت هذه
الامبراطورية من نظام التكية السلجوقى القديم بنظام المذاهب ، واخضعت
الناس قسراً للبنطق التحكى الذى اختص به كل من ندعوه « حجة الاسلام »
« ومع كل ذلك ؛ فان هذه « الدروشة » وان شئت فادعها « الباطنية » ،
كانت السبب الأقوى الذى نجى الامتين ، التركية والفارسية ، من ان تستعربا
بشكل حاسم . وفي هذا المجال وحده بدأ النضال بين الاسلام والقومية . أما
القومية فقد تفوقت وانتصرت في النهاية » (ص ٣٩)

« بعد هذا بدأ عصر الملوك العثمانيين . وفي هذا العصر تفوقت المذاهب
العربية القديمة وأساليبها كل تفوق ، حتى لقد اتبعت أساليب المذاهب البغدادية
في الاجمال والتفصيل . وهنا شبت ما ندعوه « الشريعة » التى استمدت كل
أحكامها من الاوامر والنواهي المقدسية المنزلة . فكان لزام أن لا تعترف هذه
المذاهب بان تغير الازمان موجب لتغيير الاحكام . لقد نظرت هذه المذاهب

إلى القسطنطينية كما نظرت لبغداد ، ولم تفكر ساعة واحدة في أن تدرس البيئة التي تحيط بهذه العاصمة وان تتعرف طبيعتها وان تكيف مبادئها بما يلائم هذه البيئة ؛ لقد مضت المذاهب تزود الناس بعقائير استمدتها من مصادر كانت في مكة قبل بغداد ؛ وكانت من قبل أن تكون في مكة بين أعراب البادية . فهل يمكن أن يكون مستطاعاً أن نُحتَمى الشعوب بمثل هذه الشريعة التي لم تدل يوماً على أنها ملائمة لتطور الحالة الاجتماعية التي يقتضيها نماء العقل البشري ؟ انه يتعذر أن نناقش هذه الحقيقة . ليس من الممكن أن تتطور قوة ما من القوي وتمضى مرتقية ، وهي في الوقت ذاته بعيدة عن التأثر بمبادئ التطور وماهيته . أن مثل هذه القوة لا تنتج من شيء ، اللهم إلا التراجع والاندثار ، (ص ٤٩)

« ان المبادئ التي استمدت من مكة ومن رمال البادية هي التي اعادت تركيا عن التقدم ستة قرون طوال . لقد حكمت هذه المبادئ الشعب التركي عقلياً ومدنيا واجتماعياً وسياسياً وادارياً ومدنياً . وعلى الجملة احتكمت في كل مظاهر حياته . ولقد استنفدت المدارس كل موارد تركيا المالية . ولكن ماذا كانت طبيعة الاشياء بتدرس بين جذرانها ؟ لم يدرس فيها حرف واحد من اللغة التركية . بل كانت العربية هي الاساس ، واكب الناس على درس مقاطيع من القرآن وتفسيرات فيه قد اُربت على المئات والالوف من الصفحات التي كتبها واضعوها وحكموا فيها منازعهم وشهواتهم تحكيمياً . وكذلك درسوا الحديث . تلك الاحاديث التي وضعها واتحلها رجال من مختلف الامم ، وفي مختلف الازمان ، (ص ٤٩)

« بيد ان هذه الاساليب التعليمية لم يكن لها من صلة بالشعب التركي ، ولا بلغته ولا بثقافته . بل لم يكن لها من صلة بالحياة ذاتها . وليس في تاريخنا من شيء هو ادعى الى الخجل من ان تفرض السراي - الباب العالي - على الشعب التركي اسلوباً تعليمياً عربياً في قوامه ومبناه . ومن الغريب اننا خضعنا لهذا النظام خضوع العبيد والاماء ستة قرون طوال ، (ص ٥٢)

لقد وضعت المذاهب علما قدسيا بنته على تفسيرات خاصة فسرت بها الاحاديث وآيات القرآن . اما رجالها فقد اعلنوا الحرب والنضال على كل من حاول أن يخرج عن هذه الدائرة . وبهذا سد باب العلم وحظر على الناس ولوجه ، (ص ٥٥)

« لقد مضت المذاهب حاكمة بأمرها في السراى وفي التكايا . ولم يكن على المترجم في السراى ؛ خليفة العالم « وظل الله فوق الأرض » من واجب إلا أن يحى بصولته طريقة تطبيق تلك التعصية الدينية التي تأصلت في بغداد تطبيقا عمليا . وكان من أثر هذا ان الغيت حرية الضمائر وقتلت طريقة النقد العقلي . وبكثير من الخطأ في التفسير والتلاعب به ، فصلت المرأة عن الحياة الاجتماعية وايح تعدد الزوجات ، فلم يصبح للمرأة في عالم الاجتماع من مكان تشغله ، (ص ٦٢)

كذلك فرضت المدارس على الناس أحكاما شاذة لتقوى بذلك دعائمها وثبت مركزها . فقد قالت انه يجوز ان تكلم امرأة احدا من غير أهلها . بل قضت بان ظهور شعرة واحدة من شعرها ليراها اجنبي ، سبب كاف للطلاق . في حين انها لم تذكر ان الخلفاء الذين ولدوا بغير عقد شرعى ، هم بذاتهم نبت لغرس غير مشروع (ص ٦٤)



(٤) طالما خيل اليانا ان المسألة الشرقية التي قامت في دوائر أوروبا السياسية من أكبر المخاطر التي تعرضنا اليها . ولقد جر الخوف من هذه المسألة الى جهود كثيرة بذلت في سبيل الاصلاح . على ان ضروب هذا الاصلاح لم يكن فيها من روح الانقلاب أو التجديد شىء ما . بل كانت مجرد وسائل سياسية تذرعه بها الحاكمون لانقاذ الدولة . على ان جزما كبيرا من هذه الاصلاحات بذاتها كانت من عمل الاوروبيين لامن عملنا ، (ص ٧٢)

وفي الحق ان هذه الحركات الاصلاحية لا يمكن ان تعتبر حركات تجديد لانها لم تصدر من الشعب. مصدر كل اصلاح وتجديد (ص ٧٣) واذا كان قدما الكتاب والمؤلفين لم يخرجوا عن حد النقل عن منتجات الشرق، فان كتاب عهد الاصلاح، كما يسمونه، لم يتعدوا حد النقل عن منتجات الغرب. فلم يكن في كلا العصرين نزعة الى التجديد او الابتكار (ص ٧٤) والدليل على ذلك أن المصلحين لم يحاول احد منهم ان يلمس بنقد أو تقرير حقيقة الحياة العائلية في تركيا (ص ٨٠) لقد نقل هؤلاء مبادئ الثورة الفرنسية نقلاً حرفياً بلا تحوير أو تبديل. على ان الثورة الفرنسية لم تتناول نظام الاسرة في أوروبا بأى حدث. ذلك لان حياة الاسرة الاوروبية كانت قد وضعت مرساتها على نظام ثابت لا يقبل التغيير، (ص ٨٠)

لقد كانت المسيحية ديانة أسوية، كما كان الاسلام. غير انها لم تستقر في عصر من العصور على شعب من الشعوب الاوروبية التي اعتنقتها فغيرت مزاجه الاجتماعي. لقد انتقلت المسيحية الى روما في صورة فكرة، ولكنها لم تنقل معها النظام الاجتماعي الذي خصت به البيئة اليهودية في الشرق. بل على الضد من ذلك، فان المسيحية قد تطورت وفقدت جزء عظيم من ماهيتها الاصلية، بما أثرت فيها البيئة الاجتماعية الرومانية، مثال الحياة الاوروبية في ذلك العصر. فلوان المسيحية كانت قد زحفت على أوروبا من اورشليم بجميوشها وجحافلها كما زحف الاسلام على الغرب، وأخضعت أوروبا لسلطانها وسطوتها؛ اذن لا لغيت الحياة العائلية في أوروبا، ولحلت محلها شرائع الاعراب من أهل البادية، ولتبدلت أوروبا من حياتها الاولى حياة أخرى. بل ولا نغالي اذا قلنا بأن أوروبا الحديثه لم تكن لتوجد على ما هي عليه اليوم. على أية حال نقول بان تاريخ أوروبا قد ذهب في متجه وحده، وبذلك أنقذت الحياة العائلية ونجت من تخريب التقاليد خلال كل العصور (ص ٨١)

أما نحن فلم يكن لدينا شيء من روح هذا النظام العائلي . ذلك النظام الذي ولد في الأمم الأخرى روح القومية (ص ٨٢) ولقد حاول المصلحون عبثاً أن يوفقوا بين الناحيتين . فانهم من طريق المدارس القديمة العتيقة قبضوا على زمام التعليم في المعاهد ، ومن طريق المحاكم الشرعية الدينية أخضعوا نظام الحقوق المدني . وابتاع ما أوجت به السياسة الإسلامية الصرفة ، استطاعوا أن يلغوا العقلية التركية إلغاءً كاملاً (ص ٨٣)

« لم يكن ذلك الجهد السياسي بشيء إلا جهد القانط اليائس يحاول انقاذ دولة عملت فيها أيدي الفساد . انه لم يكن تجديد ولا اصلاح بالمعنى الصحيح (ص ٨٦) لقد صم آذاننا اعلان الحكومة النيابية مرتين . ولم يكن لدي الذين أعلنوها من غرض اللهم الا أن نخضعوا الطوائف العثمانية المكونة من شعوب وعناصر متباينة ، لقوة الخلافة أو السلطنة مجتمعة . فلم يفكر المصلحون يوماً ما في أن يضعوا حداً حاسماً لتفوق السلطة الدينية ، فيحيوا بذلك الشعور القومي في قلوب الأتراك » (ص ٩١)

« يقوم القانون في فرنسا على فكرة الحق . وفي ألمانيا على فكرة القوة . وفي إنجلترا على فكرة المنفعة (ص ٩٢) أما فكرة الحق ففكرة انسانية صرفة وليست بفكرة قومية . على اننا نعيش اليوم في جو مشبع بفكرة القومية ولا شيء غيرها . ولهذا كان من الواجب بدلا من أن تتبع فرنسا أن نحذو حذو ألمانيا أو إنجلترا . ان القومية الغت الفكرة العثمانية ، وردت فلسفة الذاتية Subjectivism الى حيث أصبحت بلا فائدة أو نتيجة ، بل تحت فكرة الفردية في الاقتصاد ، ووضحت معها الشرائع المنزلة بلا معنى يلائم الحالة الراهنة . ومع تفوق الروح القومية أصبحت الآداب الدينية لدى الواقع بعيدة عن حكم الآداب المدنية . لهذا وجب أن تلغى الحياة العربية الغاء تاماً ؛ وان تنسكب طريق السياسة الإسلامية تنكباً ، وتحرز منها تحرزا (ص ١٠٧)

« كان للموقنين ثلاثة أغراض تنحصر في أن تمسلم ونستجدد ونستترك .
 وكان هذا في حيز المستحيل عملياً ، فان الاخطار التي انتابتنا من جراء القوانين التي
 استمددناها من الاسلام كانت جليلة ظاهرة . واستخدام القوانين التركية التي
 ذاعت قبل الاسلام كانت موضع الشك . لهذا لم يصبح أمامنا الا العمل للتجديد .
 ولم يكن للتجديد من وسيلة الاثورة طاحنة (ص ١٠٩) ولا سبيل للمستقبل الا
 هذه السبيل . »

« . »

(٥) « ما هي الاسباب الاولية التي أحدثت تلك الفروق الكائنة بين
 العقلية الآسيوية والعقلية الأوروبية ؟ سأحاول أن أعرف السبب من طريق
 تاريخي »

« يجب علينا أن نعي بداءة ذي بدء أنه لم يقيم في أوروبا من نبي مثل
 وذا اوكونفوشيوس او موسى او عيسى أو محمد . ممن حملوا الى الناس أوامر
 ونواهي إلهية ، ثم ألزموهم الخضوع لها قسرا وجبرا . (ص ١٢٣)

« تصادفنا في البدء حضارة رومانية قامت تعقيا على الحضارة اليونانية
 التي حازت أرقى ما وصل اليه العقل البشري من الرقي والذكاء في التاريخ . على
 أن الحضارة اليونانية كانت حضارة انسانية النزعة في مجملها وفي تفاصيلها . ولقد
 بحث العقل اليوناني الحياة ووضع من طريق هذا البحث نظاما للحقوق الانسانية
 يوافق ما تقتضى هذه الحياة من حاجات . وكذلك الفلسفة اليونانية فانها
 فلسفة صرفت كل همها لخير الانسانية . ولكنها لم تأت من طريق التنزيل
 والوحي على أنبياء ورسول ، كما هي الحال في الشرق . بل انك لا تعثر بلاد
 اليونان على فيلسوف اتحل لنفسه صفة النبوة ، أو ألقى على كاهله عبء
 الرسالة ، (ص ١٢٤)

« لقد ورثت روما البربرية هذا التراث عن اليونان . وعلى الرغم من أن

اليونان كأمة قد انحلت وزالت ، فان الفلسفة اليونانية ظلت الحاكمة بأمرها في العالم الروماني والحضارة الرومانية (ص ١٢٥) غير أن أثنائية روما الاستعمارية قد هزت قواعد روما وخلخلتها . وفي ذلك العهد أمكن لحواري من حواربي المسيح أن يملك منها الزمام ؛ وأن يقبض على اعنتها ؛ (ص ١٢٥)

« حقيقة أنه هبط روما وفي يده كتاب ، وكان يحمل فضلا عن ذلك نزعات المنطق الديني الاسيوي ليشق به لنفسه طريقاً ؛ ولكنه لم ينته الا بأن بث فكرة مجردة لاغير . ذلك لان الحضارة الرومانية ابتلعت المسيحية وكل نظاماتها . والدليل على هذا أنها ليست فكرة الحق المسيحية هي التي تملطت على أوروبا ، بل فكرة الحق الرومانية . وكذلك عاش نظام الاسرة الروماني وأينع وآني أ كله . في حين أنه لم يقو نظام واحد من نظمات آسيا الاجتماعية أن يلج لروما باباً . وكذلك لم تعرف هناك عادات المسيح . بل انه لم يتغير في روما من شيء الا اسم الآله الذي كانوا يعبدون . وهذا الدين على هذه الصورة هو الذي ذاع وانتشر في أنحاء الامبراطورية الرومانية (ص ١٢٦)

« على هذا النمط ملكت ثمانية الديانات المنزلة زمام أوروبا . إنها ديانة قامت كغيرها على الاوامر والنواهي الآلهية . وكانت من الناحية المنطقية على ابعد ما يتصور من الابهام والغموض والتعقيد . فكان هذا سبباً في أن تتسع لكثير من ضروب التفسير الاختياري الذي لا يتقيد فيه مفسر بنص ولا قاعدة . غير أنه على الرغم من كل هذا انقذت الحضارة الرومانية أوروبا . فان كل أمة من الامم التي اعتنقت النصرانية لم تتخل لحظة واحدة عن عقيدتها الاصلية ازاء الحق الانساني ؛ ولم تبعد قيداً تملة عن نظاماتها العائلية وغيرها من ظواهر الحياة كما ورثت عن الحضارة الرومانية . لهذا قام نضال وكان صراع بين العقليه المسيحية المقدسة ، وبين العقليه اليونانية الرومانية ، دار حول نظام البابوية ، (ص ١٢٦)

« لقد نهجت المسيحية نهج كل الديانات الاخرى . لقد علمها زعمائها على أنها

تقاليد لا تنقض. وبذلك وقف تيار العلم الارتقائي، وحصر التعليم بين جدران المدارس المسيحية. غير أنه بجانب هذا قامت الحياة الاجتماعية ونظاماتها غير ممسوسة بشيء من هذه الروح. والحقيقة أنه لم يكن للمسيحية من نظمات ومعاهد تتغلب بها على النظمات والمعاهد التي كانت في أوروبا من قبل. وهذا هو السبب في أن أوروبا قد استطاعت أن تنجو بنفسها عن أن تصطبغ بالصبغة الاسيوية. فإذا كانت المسيحية قد نقلت معها إلى أوروبا وشرائع كشرائع تعدد الزوجات أو الحجاب أو منطق بوحي بالقضاء والقدر أو امر منزلة تقضى على حس الجمال وحب الطبيعة والحياة، اذن لقضى على أمم أوروبا «بالدروشة» كما قضى على بلاد فارس والهند وجزيرة العرب. وما كان يغني عنهم أنهم أوروبيين. فان مسلمي البوسنة ومسيحييها لا بلغ مثال نضربه لنؤيد به ما نقول. ومادام مسلمو البوسنة في هذا العصر قد اتحلوا حياة العرب الاجتماعية، وهم بعد في قلب أوروبا، فما الذي كان ينبغي أوروبا من مثل ذلك؟ (ص ١٢٧)

«ثم جاء عصر التجديد، وتبعه لوثر. ان المزاج الالمانى لم توافقه مراسم روما وطقوسها فبدأ عهد الاصلاح وشق له لوثر الطريق. قيل بان كلمات الله لا يمكن أن تحتكرها اللاتينية. وان كل اللغات يصح أن تكون لله. وكذلك الطقوس الدينية يجب أن تتبع أحكام العقل. فالغنى لوثر كل الطقوس التي لا تتفق ومطالب الحياة، أو لا تتجانس والعقل أو الذوق السليم. اذ كيف يتسنى لامم متحضرة على النمط الحديث أن تلزم طقوساً ومراسم بشرها بداءة ذى بدء لشعوب عراة حفاة دأبهم البطالة والكسل، وأخص صفاتهم الجهل. شعوب عاشت بلانظومات تشريعية أو حكومات. لقد فهم لوثر هذه الحقيقة. ولذا سلك أقوم سبيل (ص ١٢٧)

«ليس الاصلاح الدينى، الذى قام به لوثر، الاجزما من التأثير الرومانى العظيم الذى برز الى الوجود من خلال الحضارة اليونانية. وعلى هذه القاعدة عينها

قامت الثورة الفرنسية . فان كل زعماء الثورة في فرنسا كانوا جميعاً من المؤمنين بما أوحى به فلاسفة اليونان لعالم البشرية . فكتاباتهم ملامى بكلمات تفوه بها فلاسفة اليونان ؛ وحياتهم مثل لمباتى . وضعوها . انك لاتقع فيما كتبوا على استشهاد اقتطع من كتاب منزل . لانهم لم يجدوا الا فى الاناجيل ولا فى التوراة ولا فى كتاب زرادشت ، حقائق كالتى وقعوا عليها فى مؤلفات اليونان . لقد كمن هذا الحق الثابت فى تضاعيف الفطرة الانسانية . والثورة الفرنسية انما استكشفت هذا الحق وعكفت عليه (ص ١٢٩)

« لقد استكشفت ان الحق عقلى لاتقليدي . وان العلم يمكن استنباطه واستقراؤه من أعمال الناس وحاجات الجماعة وكنوز الطبيعة . وان ليس للبلوك ولا للبابوات من حق فى الادعاء بان لهم من قدرة على فهم الحق والعصمة من الخطأ أكثر مما لكل الناس . لقد نزعنا الثورة عن الدين سلطة الدنيا وتركته فى حيزه الطبيعى . فى صدر الجماعات ومشاعرها ، (ص ١٣٠)

« وما كان لشيء أن ينتج عن هذا الا القومية . لقد كانت الثورة الفرنسية لكل الانسانية ، ولكنها انتهت بالقومية . وفيها تعثر اذا ما بحثت على الاسس التى قامت عليها العقلية القومية فى أوروبا (ص ١٣٢) هذه هى العقلية الاوروبية . ولن تجدها من مثيل فى آسيا . على أننا قادرون على اتحاليها . فاننا بشر مثلهم . والواجب علينا أن نتحل هذه العقلية كماهى جملة وبلا تجزئة ، (ص ١٣٣) ولكن كيف يتيسر لنا ذلك ؟ يتيسر لنا بان نسلك الطرق الثورية الانقلابية . ان الحاجة تدعونا لان نلغى العقلية الاسيوية وأن نحل محلها العقلية الاوروبية . اتناواجهنا الآن مصاعب ومشكلات كتلك التى قامت فى وجه الثورة الفرنسية . لهذا وجب علينا أن نستخدم الوسائل الثورية . وليس فى الدنيا من ثورة حبت أعداءها بنعمة الحرية . إنما الحرية الشخصية تكون يقين حقا للجميع بعد أن تضع الثورة أوزارها وثبت أصولها . لهذا لانستطيع أن نترك

بزره الحركات الرجعية تنمو حبتها في العصر الحاضر . والافان الثورة لن تنجح

« ص ١٣٥ »

ان الحضارة الاوروبية تقوم على ثلاث أسس عظمى : الاول - حقوق الانسان - والثاني - الثقافة القومية - والثالث - الاقتصاد والمالية القومية - ولنبحث كلامن هذه الاسس على حدة :

أولاً - حقوق الانسان: تنحصر في أن كل شخص تابع لرعاية الحكومة يولد ويعيش حراً . وهذا هو المبدأ الجوهرى الذى تقوم عليه كل جماعة متحضرة وهذه الحرية تطبق على كل المعاهد التي يقوم عليها النظام الاجتماعى فرديا وعائليا وحكوميا :

(١) الحرية الفردية . تقيد هذه الحرية بكل الاشياء التي لا يجب شخص أن يستعملها ضده شخص غيره . ولم يبق في أوروبا أمة واحدة لم تقبل مبدأ الحرية الفردية محددًا هذا التحديد . ومن غير الحرية الفردية وحرية الضمير وحرية الفكر والنشر ، لا يمكن أن تمضى أمة متحضرة في سبيل الارتقاء « ص ١٤٠ »

(٢) أما الوجه الثانى من أوجه الحرية الفردية فذو علاقة بالحياة العائلية . « ص ١٤٥ » ، أما العقلية الاوروبية فقد حلت هذه المشكلة أيضاً . فان الحياة العائلية في أوروبا انما تقوم على مبدأ التساوي في الحقوق . لأن الحياة لم تعط الرجل حقاً أكبر ، ولم تحرم المرأة حقاً ، مهما كان نوعه . فان الحياة مرحة وسعادة . اذن و جب أن تعطى المرأة حرية الرجل ، و الرجل حرية المرأة . وليس على غير هذا الاساس تقوم الحياة العائلية الحرة . وهذه العقلية بالطبيعة ترفض الاعتراف بحق تعدد الزوجات . وتسع بالضرورة مبدأ مساواة حقوق المرأة بحقوق الرجل في الاجتماع . « ص ١٤٦ » ، المرأة والرجل أحرار فردياً . وما الزواج إلا اشتراك يحدث بتوحيد مصالحهما وحقوقهما بمحض الاختيار ، والطلاق عبارة عن فسخ هذه الشركة : اذن و جب أن يكون للزوج والزوجة نفس

هذه الحقوق المشتركة . والزواج موجه بكليته إلى خير الجماعة ويجب أن يقوم على هذه المبادئ . « ص ١٤٨ »

(٣) « حرية الحكومة : بحكم وجود أكثر من فردين اثنين في هذه الحياة فرض نظام الحكم . ولهذا لزم أن تقوم الحكومة على صورة تضمن حقوق كل الناس ، ووجب أن يمثل في نظامها كل شخص من أشخاص الرعية . وهذه هي الديمقراطية . ينبغي للحكومة أن تمثل شرائح الافراد وأن تقوم حفيظة على مصالح الجماعة . وان مصالح الجماهير لا يجب أن تعبت بمصالح الافراد . ولا يجب أن تعبت مصالح الافراد بمصالح الجماهير . إن مصالح الافراد والجماهير يلزم أن تسير متعاونة في سبيل الخير والصلاح . وعلى هذا لا نرى حكومة أوروبية تستطيع أن تفكر في أن تعتدى على مصالح الافراد » ص ١٤٩ »

ثانياً — الثقافة القومية : اننا انما نعيش اليوم في عصر القومية ، ولم نصل بعد إلى عصر « الانسانية » . إن الحضارة الاوروبية تستهدى في كل أعمالها وحركاتها بوحى القومية وحدها . إذن يجب علينا أن نسير على نهجها ونعمل عملها . لم تعترف أمة بحق أمة أخرى بعد . ولم تشفق أمة على غيرها ، ولم يهب شعب لنجدة آخر . وما الحروب الطاحنة التي قامت في أوروبا إلا دليل حي على صحة ما نذهب اليه . ولقد حاول البعض أن يفسر موقف أوروبا العدائي أزماننا بأنه راجع إلى بواعث دينية . وهذا ليس بصحيح . فان الحضارة الاوروبية ليست بشعوية مسيحية ، ولا هي بجمعية نصرانية . فان مثل هذه الاساليب التفكيرية قد زالت وانمحت من الذهن الاوروبية . وليس أسخف من الحركات التي تقوم مناقضة لهذا المبدأ في تاريخ الدنيا الحديثة . وما جمعية الامم إلا مثال محزن يؤيد صحة مذهبنا . فان العقلية الانسانية لم تقم بعد في ضمائر الشعوب . ولهذا يتعذر علينا أن نعمل مؤتمين بموحيات المنطق

الانسانى . وليس لدينا إلا القومية و المنطق القومى وحدهما وهذا هو نتيجة التناحر على الحياة . وما التناحر إلا أساس الحياة فى كل مكان . هذا مبدأ ثابت لا مبدل له . ، ص ١٥٥ ،

ثالثاً - - الاقتصاد القومى ، ص ١٦٠ - ١٧١ ، ان الاعتراف بحقوق الانسان قد مهد السبيل للحضارة الحديثة . فان الثقافة القومية قد خلقت فى الناس طابعاً خاصاً . أما الاقتصاد القومى فقد حفظ ذلك الطابع وزوده بالقوة التى بها يستطيع أن يشغل فى نظام هذه الدنيا أعلى مكانة . اذن فسنادة الحضارة الحديثة فى الواقع هو الاقتصاد القومى . وكل الدنيا انما تعمل اليوم على هذا المبدأ . وهذا نظام لم تتمتع به كل الامم على السواء . انه نظام يكاد يكون خاصاً بأسرة الأمم الاوروية . وهو فى الواقع نتاج للعقلية الأوروية ، ص ١٦١ ، ، إن هذا المبدأ من أقوى المبادئ التى قامت عليها الحضارة الحديثة . وهو مبدأ على أية حال مخالف تمام المخالفة للمبادئ التى قامت عليها حياة الشعوب القديمة . أما إذا كانت الشيوعية قد قامت خلال الزمان الذى ظهر فيه المسيح مثلاً لكففت حاجات الناس لعمره . ولكنها كانت تحفظ على الجماعات طابعها الفطرى الاول على الدوام . فان المسيحية قد اتبعت مبدأ الانتاج على قدر الكفاية والكفاف . أما مبادئ الاقتصاد الحديث فمناقضة لهذا المبدأ تماماً . انها لا تقوم على قاعدة الانتاج على قدر الحاجة ، بل على مبدأ الاستهلاك بقدر الانتاج . والفرق بين المبدأين شاسع بعيد . انها تزيد الانتاج وفى الوقت ذاته تنوع فيه . ، ص ١٦٧ ،

هذا هو نظام الحضارة الاوروية . وليس من شأننا أن نبحث فيما إذا كانت حضارة بحق أم انها بربرية ووحشية . كلا . يكفيننا ان الحياة الانسانية تقوم على هذا الوجه فى العصر الحاضر . والواجب على تركيا أن تندمج فى هذه الاسرة المتحضرة وأن تقيم حقوقها وثقافتها واقتصادها على أسس

أوروبية . إن الحياة منطلق صرف ، وجهد متواصل ، ولكنها بينة الطرق
ممهودة السبيل ،

(٢) مثال المدرسة الثانية

الأستاذ جلال نوري بك

« لقد عملت العثمانية ، على أن تعطى العقلية الآسيوية صفة الاستمرار
في العقل الأوربي . وكانت هذه المحاولة في حكم المستحيلات بمقتضى الوسط
والبيئة . ولقد كانت بنا حاجة ماسة لان نتحل العقلية والآساليب الأوروية .
ولكن حال دون ذلك التواء الأمر في الإدارة الحكومية . وهي الأساس
الذي كانت تقوم عليه الدولة . حتى لقد وقفت هذه الحالات حجر عثرة في
سبيل أن « نستغرب » (١) وعاقبت خطى التقدم طويلاً . ذلك لان النظام
الذي كان قائماً قد عجزت معه الأمة عن هضم المبادئ الغربية وتمثيلها (٢)
وإدماجها في النظام الاجتماعي (ص ١٠ - ١٨)

« ان الأمة التركية ذات كفايات عظيمة ، وعلى الاخص كفاية الإدارة
والنظام والقدرة على امتصاص الشعوب الأخرى (٣) أما المصيبة الكبرى
التي نزلت بالشعب التركي فكانت العثمانية (٤) من ناحية وما تبعها من حبه
الاستمساك بالامبراطورية من جهة أخرى . فان سلاطين آل عثمان لم يعنوا
 يوماً واحداً بالشعب التركي ولا أهوا ساعة بمصالحه الدنيوية . حتى لقد فصلوا
بين العنصر النصراني وبين المسلمين ، بل لم يحاولوا يوماً أن يصبغوا العناصر
غير التركية من المسلمين بصبغة العنصرية التركية ليضمنوا بعض الثبات في
قوام الامبراطورية (ص ٢٤ - ٢٥)

(١) اي نصير غريين على قياس نستشرق . (٢) التمثيل في علم وظائف
الأعضاء . تغيير الطعام الى اجزاء حيويه والمعنى هذا مجازي صرف (٣) الامر
الاخير مشكوك فيه كثيرا . (٤) اي العقلية العثمانية نسبة الى آل عثمان .

« إن الصفة الجوهرية التي غلبت على الحكومة العثمانية منذ زمان محمد الفاتح حتى نهاية عهدها ، كانت الجهل المطبق . فان محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية لم ينهز أ كبر فرصة كان من الواجب أنه لا يضيعها . فانه احتفظ برجال الكهنوت النصراني وحمام وأظلمهم بعطفه دون رجال العلم الذين كانوا نور بيزنطية القديمة ؛ فهاجروا الى الغرب ونقلوا معهم ثمار العقل الانساني . ولم يقف الامر عند هذا ، بل كون فئة من رجال اللاهوت الاسلامي مقلدا بهم رجال الكهنوت النصراني من اهل الاورثوذوكسية . وبذلك اتجهت العقلية التركية نحو الشرق دون الغرب . فقد ورثنا ديننا وثقافتنا بل جزء من لغتنا ، من تقاليد الشرق . وليلاحظ دائماً أنه بعد سقوط القسطنطينية اخذ كل مافي العالم الغربي (أوروبا) يتغير ويتبدل ، حتى لقد فازت الشعوب بحرياتهم مستبدلة بها النظام الاستبدادي القديم . هذا في حين ظل حكامنا في جهلهم وعميتهم غير عالمين بشيء من تلك الجلبة الواسعة النطاق التي كانت تفعم جو أوروبا (ص ٢٩)

ان الاتراك لم يدركوا قيمة القسطنطينية من ناحيه اقتصادية ، كنيته تجارية على اعظم جانب من الاهمية . فانهم بمجرد استيلائهم على المدينة غادروا البحارة البيزنطيون والجنويون ، وحي البحارة الاتراك ، هاربن بانفسهم ، فائزين باعمارهم . اما السبب في سقوط الحكومة العثمانية فيرجع الى امرين : الاول قلة التجانس الشعبي بين امم الامبراطورية . والثاني فقدان المثل القومي الاعلى في الحياة . وفي الوقت ذاته سلم الاتراك مواردهم لاصحاب الامتيازات وللاروبيين وخصوا اليونان والارمن بكل الميزات الداخلية للبلاد (ص ٣٤-٥٢)

أما من حيث العلاقة بين المدينة الاوروية والنصرانية فان جلال نوري بك يقرر الآتي :

« ان من الخطأ الكبير أن تسمى المدينة الاوروية أو المدينة الامريكية

مدينة نصرانية؛ أي مدينة أقامها الدين النصراني . فان الدين النصراني قد تعدل على مقتضى الحركات الاجتماعية التي قامت في أوروبا ، وبذلك أنقذ من الجمود وحالة الثبات ، حتى انك لا تجد اليوم الا قليلا من أوجه الشبه بين النصرانية كما وضع تعاليمها عيسى ، وبين النصرانية الحديثه . بل تستطيع أن تقول بكثير من التحقيق أن نصرانية العصر الحاضر تختلف جوهرياً عن النصرانية الأولى . فان الاوروبيين قد كونوا ديناً جديداً صرفا خلال التسعة عشر قرنا الفارطة ؛ رغم أنهم بدأوا الشوط بقصة عيسى . بيد أن النصرانية في أوروبا ؛ على الرغم من معارضة أهل اللاهوت؛ قد هضمت ومثلت كل الفكرات التي ظهرت على دور الأيام؛ وعلى مر العصور . فان أورو با عندما كانت تحارب الجهالة في العصور الوسطى ؛ كانت النصرانية أيضاً في حالة تدعو إلى الاشفاق . ولكن لم يمض على ذلك أربعة قرون حتى وقع في الدين النصراني حركة تطهير عام غولى فيها بتطرف . فان عدداً من الامم انفصلن عن الكنيسة الكاثوليكية ، وكون نظاماً جديداً . ولقد ترى أن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية قد أخذت تنظم نفسها بنفسها . وعلى هذا ترى أن النصرانية لم تستطع أن تضطر أتباعها ان يظلوا قانعين بالصور القديمة في الدين والاجتماع . ولقد كانت الفكرات الحديثه في نهاية هذه المراحل هي التي أعطت النصرانية لونها الجديد . فاذا هبط اليوم المسيح مرة أخرى على الارض في هذه الايام ؛ إذن لظل غريباً ولرأي نفسه في عزلة عن النصارى . ذلك لأن نصرانية العصر الحاضر ؛ أرقى بكثير من نصرانية المسيح !!

أما في الاسلام فاننا لم نعهد مثل هذا الانقلاب التعديلي ، ولا مثل هذه التطورات الكبرى . ان الاسلام دين ينطوي على أرقى المبادئ وأشرفها وأعظمها ، ومع كل هذا فقد ظل جامدا لا يتغير بتأثير حكم أئمة الدين وفقهائه . فلو أن نصرانيا أخذ يتبع في العصر الحاضر الشرائع التي كانت ذائعة في عصر

عيسى ؛ اذن لشعر بأنه خلف العصر بقرون ؛ وأنه قبل الدنيا بمراحل عديدة .
 إن النصرانية لم تتكون إلا بنسمة بسيطة أخذتها من نفحات عيسى . أما القوانين
 والشرائع والنظامات التي يسير بمقتضاها العالم النصراني اليوم فتاج لجهد
 العقول خلال التسعة عشر قرناً التي تبعت عصر عيسى . وأنت ترى على
 الاخص أن النصرانية قد حررت نفسها من الحياة السياسية . ولكن السياسة
 كان لها حرية كافية لتنمو وتصبح ذات أثر في العالم الاوروبي ، في حين أن
 أئمتنا وفقهائنا لم يتبعوا يوماً ذلك الطريق الذي سارت فيه النصرانية ، فقد
 اعتقدوا بأن الشرائع لا يمكن أن تخضع يوماً لتعديل أو تغيير ، وبذلك سدوا
 كل باب يمكن أن يكون ولوجه . سبباً في إحداث تطورات جديدة أو إصلاحات
 ارتقائية تناسب مقتضى الحال . وإني لا أعتقد أن هذا المبدأ مضاد لروح الشريعة
 الاسلامية . ولكن على الرغم من هذا ظل الاسلام جامداً متبلوراً طوال
 الازمان حتى زماننا هذا . فان الامام ابو حنيفة وبقية الأئمة الثلاثة لم يتورعوا
 عن أن يضعوا من القواعد التشريعية التي تتطلبها حاجات الحياة ، ما يضاد أوامر
 القرآن ونواهيه في بعض الاحيان ، متخذين التأويل لإصلاح الشريعة سبيلاً .
 فلو أننا اتبعنا نفس هذه السياسة في الدين ، فلا يبعد أن يكون الاسلام قد وصل
 الآن الى حالة توافق حاجات هذا العصر . غير أن فقهاء الاسلام لم يتبعوا هذه
 الطريقة . بل اتبعوا أحكام الأئمة الاربعة عمياء وضلالاً من غير نظر ولا تحقيق
 ولا مماشاه لمقتضى الحال ، وقفوا على ذلك باب الاجتهاد ، فاقاموا بذلك أكبر
 سد من الجمود أمام الاسلام . لم يعرفوا أن شرائع الاسلام قد وضعت لتوافق
 مزاج العصر الذي وضعت فيه ، وأنه بتغير الازمان يجب أن تتغير بعض الشرائع
 بل بعض المبادئ الدينية ذاتها ، والافان باب الارتقاء يوصد ، وان الأمة
 التي تعيش في ظل هذا الجمود لا بد من أن يستعبدتها غيرها من الأمم .
 ان البقاء في الاصفاد والاغلال خضوعاً لفتوى أو لفتاوى قديمة ، إنما هو

بمثابة غل يحول دون الارتقاء والتقدم ، وليس لهذا من معنى ، اللهم إلا معنى الاستقامة والخضوع لمقتضى النظم الاجتماعية والاقتصادية والفكرات المدنية والسياسية التي كانت تلائم حالات تلك الأزمان القديمة ، ولا جرم أن كل ما هو ثابت لا يتحرك مقضى عليه بالرجعي والانحلال . هذا مبدأ ثابت من مبادئ الحياة ،

« ومهما يكن من هذا الأمر ، فإنه ليس من روح الإسلام في شيء . إن في الإسلام لمبدأ ارتقائياً عظيم الخطر هو مبدأ « الاجماع » . أما فقهاء الشريعة والدين فقد أنكروا هذا المبدأ كل إنكار . لقد استقوت أوروبا بمبادئها الارتقائية وحرية الفكر على الكنيسة النصرانية ، وبذلك استطاعت الأمم الغربية أن تنتفع كثيراً بما جد من الاستكشافات والاختراعات في العلوم . أما الشعوب الآسيوية فقد ظلت لابسة تقاليدھا القديمة ولم تحاول خلعها يوماً من الأيام . والمشكلة التي نواجهها اليوم تنحصر في طرفين : الحياة أم التقاليد ؟ وأيهما تتبع ؟ إن الحياة أمر أولى ثابت ، أما التقاليد فطلاء ظاهري . وقد ينزل بعض هذه التقاليد منزلة القداسة . غير أننا يجب أن نعتقد أن قداسة التقاليد يجب أن تكون بنسبة نفعها للحياة . فإذا ظهرت هذه التقاليد مضرّة بالحياة ، فمن الحق والسفاهة أن نظل بها مستمسكين ،

« هل في استطاعتنا أن نعيش وأن نرتقي وأن نقوى مع عكوفنا على وجهة النظر القديمة واستمساكنا بالتقاليد ؟ هل نستطيع أن نأخذ الفنون الأوروبية وننبذ أسلوب العقل الأوروبي ؟ أن هذين الأمرين لا يمكن الفصل بينهما . أن لاوروبا أسلوباً علمياً للدرس قائماً على أساس الحرية الفكرية . فان شيخاً من مشايخ هذه الأيام (سنة ١٩٢٦) انما يخضع كل شيء ويحكم بين الناس بمقتضى نصوص قديمة مستمدة من كتاب قديم . وأنه فوق ذلك لمقيد بهذه النصوص القديمة مغلول اليدين بها . فاذا تنكب نصوصها حكم عليه بأنه من

لخوارج أى «كافر». وفى الممالك الإسلامية يخضع كل شىء فى السياسة والحضارة والحياة والملبس حتى والمأكل الى النصوص الدينية. أخذ لذلك مثلاً أن شيوخنا اذا أرادوا أن يحكموا اذا كان الماء طاهراً أو غير طاهر ليكون صالحاً للوضوء أو غير صالح، فانه يفتح كتابه ليرجع اليه، وحتى لو كان الماء راكداً فاسداً فانه يحكم بصلاحيته. كلا: بل يحكم أنه مطهر من الأدران. أما الأوروبي فيرجع الى حسه وإلى الكيمياء. أما نحن فنرجع الى الكتب القديمة. وهذا هو المثل المضروب فى السياسة وفى الشرائع الاجتماعية. إنما نحن نعيش ميتين فى تراب أئمة وفقهاء وضعوا لنا أحكامنا ثم بادوا منذمات من السنين. ولقد كانت التقاليد الدينية والعادات القديمة أكبر حائل صد الأهم الإسلامية عن التقدم والارتقاء. ثم بدأت الحياة الروحية والنفسية وهناً على وهن، وشيئاً بعد شىء، تتبلور وتتعدد شأن السياسة والحياة الاجتماعية. ثم انحطت الأخلاق وساء السلوك وهما المقصدان الأولان فى تعاليم الأديان. ولا جرم أن كل مسلم مستنير فى هذا العصر إنما يحتقر وسطه ويسهزى ببيئته، فى حين أن كل نصرانى مستنير يظل محافظاً على احترامه للكنيسة التى هو تابع لها. وعلى هذا نجد أن فقهاءنا قد أهملوا أمر الأخلاق وأمر الروحانية العليا. «خذ لذلك مثلاً مشكلة تعدد الزوجات باعتبارها نظاماً اجتماعياً. على أننا لا يجب أن ننسى أن اليهودية والنصرانية باعتبارهما من العادات الدينية لا يجرمان تعدد الزوجات. غير أن الكنيسة.. النصرانية قد حددت المبادئ القديمة بما يلائم مزاج أوروبا وحاجاتها، فاضطرت الى النهى عن تعدد الزوجات. وعلى هذا نجد أن أوروبا بدلاً من أن تمشى مع منطوق الشرائع الدينية النصرانية، قد اضطرت الكنيسة النصرانية أن تمشى مع ما تتطلبه أفكارها الجديدة. وكذلك نجد أن لاهوتىى النصارى قد اعترفوا بكل قدماء الانبياء من العبرانيين، مع كل ما كان لهم من زوجات وسراري، على أنهم أنبياء صحيحة نبوتهم.

ويحتوي الانجيل على مئات من الآيات كلها تؤيد مبدأ تعدد الزوجات . أما
النصارى فقد مروا على هذا من الكرام من غير أن يعيروه التفاتاً . ثم نرى من
جهة أخرى أن المسلمين لم يحتجوا يوماً أو يعارضوا تعصب الفقهاء . ولم نر المسلمين
في عصر من العصور قد حاولوا أن يكافئوا بين أحوالهم وحاجات العصر على مدار
التاريخ الاسلامي . ذلك لان التقاليد القديمة قد حجرت عقلية المسلمين واعدمتهم
مشاعرهم جمعاء . وكانت الامة التركية أولى الامم الاسلامية التي استيقظت
في ذلك النوم العميق . (ص ٥٨)

« يجب علينا أن نتحل أسلوب الفكر الغربي . وليس في الغرب من يهتم
أقل اهتمام بشيء من النظريات المجردة المستمدة من الماضي ، مهما كان مصدرها
ومهما كانت منزلة القائل بها . في حين أننا في الشرق نجد أن العلم قائماً على التقاليد .
وينا نجد أن العقل قد سفل وأخضع ؛ نجد أن التقاليد قد استعلت وتسودت .
والتفكير في الغرب حر غير مقيد . بينما هو في الشرق مقيد مستبد به محكم فيه .
والدليل على هذا ان الشرقي اذا بدأ يفكر على أسلوب الفكر الحر ؛ شعر كأن
سمكة خرجت من الماء . وأحيط بيئته الموت والفتنة ، فارتبك عقله واضطرب
أمره . (ص ٦٨)

« لقد فهم الاتراك أخيراً أن الاقوام الذين يعلقون مستقبلهم بمستقبل
نظام ديني لا يحتمل أن يكونوا سعداء ، ولهذا انضم الاتراك الى ذلك المثل الغربي
الاعلى ؛ مثل القومية ، ورضوا به بديلاً عن التقاليد الاسلامية القديمة . فانك
اذا أردت أن تكون مخلصاً للماضي متمسكاً به ، وأن تظل في وحدة مع مستقبل
٣٠٠ مليوناً من الناس الجامدين الذين لم يعرفوا للرقى معنى ولا ذاقوا للتقدم
طعماً ، فليس لهذا من معنى الا أن تثور ضد الحاضر و ضد المستقبل ، بل معناه
الصريح انك تفقد وجودك القومي . (ص ١١٦)

« لقد مهدنا في الماضي تمهيداً كبيراً ليقظتنا الاخيرة وثورتنا العظمى .

غير أن الحكومة التركية فقدت كل ميزان للباديء وكل تقييم للصالح العام .
 لقد كانوا ينتحلون القوانين الغربية من ناحية ، ثم يضعون قانوناً أساسه الشريعة
 الإسلامية من ناحية أخرى ليكون أساس القوانين وأسس الشرائع ! ولم يكن
 لهذا من مثل الامتثال اذا أخذت تطبق طرق علاج الامراض الاوروبي
 واستعمال العقاقير ، ثم بقيت على عهدك القديم في تشخيص الامراض ومبادئ
 علم وظائف الاعضاء ! (ص ١١٦ - ١٢٩)

« ان النصرانية لا تتكون فقط من الانجيل . كما أنها لا تقوم عليهما . ففي
 خلال القرون الاولى من حياة النصرانية اتحلت المجالس الكنسية عقائد جديدة .
 وعلى الرغم من هذا فان هذه العقائد لم تظل ثابتة جامدة على مدى الازمان . فقد
 استقرت مرات عديدة واستنتج منها ثم أضيف اليها . وبذلك تغيرت النصرانية
 عن أصلها تغيراً كبيراً . حتى أن المسيح لوقام اليوم مرة ثانية لظل غريباً بين
 النصارى !! لقد تغيرت الكنيسة النصرانية ، في حين ظل الاسلام جامداً منذ
 عصر الأئمة الاربعة العظام . انه لم يتغير ولم يرتق . لقد وقف حيث كان .
 غير أن تلك الفكرة الخاطئة فكرة ، أن الشرائع لا تتغير ، ليست بمبدأ إسلامي .
 فان الفقهاء قد أفسدوا الدين الاسلامي وأفقده المرونة المدنية اللازمة .
 وكان الواجب عليهم أن ينظروا في مبدأ الاجماع نظرة اوسع مجالاً وأبعد
 مدى ، أي كان من الواجب عليهم أن يتخذوا اجماع المسلمين في كل عصر من العصور
 قاعدة للتشريع . وفي رأيي ان جمع القرآن في صورة كتاب لم يكن مفيداً ولا نافعاً .
 وليس في السير القديمة على ما يدلنا على أن النبي قد أمر بمثل هذا الجمع ومثل هذا
 الترتيب . على أن مجهودات عثمان أمير المؤمنين في هذا الصدد غير محمود ولا
 مشكورة على كل حال . فلدينا في القرآن بضعة أوامر ونواه . وكانت أوامر
 ونواه مستقلة كما كانت تتطلب طبيعة المركز حينذاك . ولم تكن الفكرة أن
 تجمع هذه الاشياء في صورة كتاب محبوك الطرفين . فان النبي لم يأمر أبداً بمثل هذا
 الامر ، ولم يحاوله . ولقد أغفل جامعوا القرآن هذه الحقيقة . فان كل أمر من

أو امر القرآن كان ذاعلاقة بحالة من حالات ذلك العصر . أما الاحاديث فليس في مستطاع أحد أن يثبت صحتها ، اللهم الا عددا قليلا لا يتجاوز العشرة أو الخمسة عشر . أما اذا رجعنا الى المنظمات والاحكام التي وضعها الفقهاء من بعد محمد ، فاننا لانستطيع أن نعلق عليها أية أهمية مطلقاً ، أو نغيرها أي وزن بحال من الاحوال . ذلك لان القرارات والاحكام التي أصدرتها وأصبحت من مبادئ الاسلام بالتقليد والتواتر ، لم يكن لها الأهمية جزئية أو قيمة زمانية في ذلك العصر لا غير كذلك لم يستطع فقهاءنا أن يعرضوا على الناس من الاسلام صورة جذابة محببة . في حين أن النصرانية على ما فيها من المتناقضات التي يعدوها الحصر والمبادئ البعيدة عن القياس المنطقي ، قد نظمت عباداتها على صورة توافق أمرجة الامم . فان النصرانية بأساسها الواهن الضعيف ؛ قد لبست ثوباً أكثر جذبا للناس من الثوب الذي لبسه الاسلام على ما فيه من قوة الاساس وقوم الدعائم . فان حركة الاصلاح الذي قام بها «لوتر» لعصر جديد في تاريخ الكنيسة النصرانية . وليس من البعيد أن يكون «لوتر» ا كبر من خدم الكنيسة . فان الاصلاح الذي قام به اذا لم يكن قد حدث بالفعل ، فلا يبعد أن تكون النصرانية قد سقطت منذ زمان بعيد ، وربما لم يكن لها اليوم من أثر الأثر الرواية التاريخية ، شأن كثير من الديانات الاخرى . أما في تاريخ الاسلام فاننا لن نقع على مثل هذا الجهد الابتكاري يصرف في سبيل الاصلاح . فان المسلمين لم يكن لهم مدنية ارتقائية . ولقد استكشف الأتراك هذه الحقيقة . ثم تساءلوا ، لاى شيء وضع الدين أصلاً؟ أليس لسعادة الانسان ورفاهيته ؟ ولكن افرض أن الدين أصبح عائقاً يحول دون سعادة الامم !! أليس هذا لأن الامم لم تفهم الدين وغايته العليا فهما صحيحاً ؟ ان الخطأ لم يكن في الدين . بل كان الخطأ في صدر الحكام الذين اتخذوا من الدين وسيلة يؤيدون بها استبدادهم . وهؤلاء هم طبقة الفقهاء من أهل اللاهوت . لهذا نبذنا هؤلاء جانباً واتبعنا وحى المدينة الغربية ، (١٣٠ ص)

« اتباعا لشريعتنا يمكن للزوج أن يطلق زوجته في أي وقت يشاء، بعد أن تكون قد ظلت أمينة مخلصة له، و بعد أن تكون قد ولدت له أولاداً. كل هذا تلقاء مؤخر صداقها ونفقة ثلاثة أشهر. وليس هذا في لغة الغرب طلاقاً، بل طرداً. ولا يمكن أن تستقر حياة عائلية على مثل هذا الأساس الواهن الضعيف. ان حاجتنا تدعونا إلى أن ندرس العناصر الأساسية التي تقوم عليها المدينة الغربية. وأمم الشرق يجب أن تستنير على القواعد المأخوذ بها في الحياة الغربية. انا كثيراً ما تنفوه بكلمة « المدينة الغربية » من غير أن نعرف ماهيتها وتاريخها (ص ٢٠٢)

ثم ينتقل المؤلف الى الكلام في الحياة الاقتصادية ويمضي في نقد الحكومة العثمانية القديمة فيقول

« ان الحكومة العثمانية لم تكن حكومة اقتصادية. ولم يكن للشعب التركي تقاليد اقتصادية يتبع قواعدها. » ثم يقول « ليس من البعيد أن تصبح أنقرة واشنطون أخرى، والقسطنطينية نيويورك ثانية، » (ص ٢١٩)

ثم ينتقل إلى الحركة الادبية والجمال فيقول

« إن الحركة الارتقائية التي بدأها اليونان وتابعهم فيها الرومان، قد صدت النصرانية تيارها وأوقفته عن الانسياب... وبدأ مجد روما في الافول... ولكنها احتاجت إلى ثلاثة قرون لتمام انحطاطها... وفي النهاية قبل العقل الانساني إنساناً عادياً على أنه ابن الله وبدأ بعبادته. وكان الجمل سائداً تحت نظام الكهنوت في القرن الخامس، بل كان شاملاً، كل مكان... فان النصرانية في ذلك العهد أنزلت الانسان منزلة البهائم السائمة. فان التفكير كان مخالفاً للقانون، والتعبير عن الرأي محرم. وكانت المناقشة معتبرة من الخطيئات الكبرى. واعتبر الانسان ككائن نجس بعيد عن الطهر. وكان المعتقد أن الله هبط على هذه الارض في شخص عيسى وأهدر دمه فداه لخطيئة آدم

وحواء . ولما كانت المرأة هي السبب في هذه الخطيئة وضع جل الناس في مستوى خطيئتها . وكان من الخطيئات الكبرى أن يعنى الانسان بجسمه من جراء اللعنة التي نزلت به . وأنكر الناس المصالح الزمنية لأن الدين لا يعنى بشيء اللهم إلا المصالح الروحية . واهمل الجسم باعتباره شيئاً غير طاهر . وجهد الناس أنفسهم أن يحصلوا على سعادة الروح . فوَقعت الاجسام فريسة القذارة والفقر ، وكانا من الدلائل الثابتة على الطيبة وحب الخير . وكان يخشى من الاستحمام لثلا تزول عن الجسم مياه المعمودية . ولقد حظرت الكنيسة في اسبانيا غسل الجسم ومنعته بتاتا . وفي سنة ٤٦٧ ميلادية هدم الكريدينال « سينوزا » المستحقات العمومية التي كان العرب قد بنوها في اسبانيا ، وانك لتجد أثر ذلك في بلاد الحبشة حتى الآن ، إذ يمتنع الناس عن الاستحمام لثلا يتمثلوا بالمسلمين . ويعتبرون ان هذا من حاجات النصرانية ، ولكن الانسانية لحسن الحظ لم تفن من نفوس الناس تماما بما أقام القديس بولص في سيليا من عوائق . ففى زماننا هذا تحررت الانسانية تماما من استبداد النصرانية التي اعتبرها « نيتشه » السبب الاول في الانحطاط والخراب والسقوط . ولقد أخذت الانسانية تعود الآن مرة أخرى إلى مدينة اليونان ومدينة الرومان . وأخذت العقول تستيقظ من طويل سباتها وتستفيق من غطيط القرون الوسطى ، وعمدت تتطلع الى الحرية التي كانت لها قبل أن تغشى عليها النصرانية بأغشيتها الثقيلة

(ص ٣٤٦ - ٣٦٥)

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الكلام باطناب في أثر الإصلاح البروتستانتى فيقول :

« لقد كان الإصلاح البروتستانتى خطوة ارتقائية كبرى في المدينة . لقد ألغى الدين ، وفي هذا تنحصر أهميته . وكما كانت النهضة التجديدية (الريناسانس) سببا في ترقية العقول ، كان الإصلاح البروتستانتى سببا في ترقية الروح .

فان الاستبداد والتعصب للذين اختصت بهما الكنيسة الرومانية؛ قد زالا الآن من عالم الوجود. ونسيت الانسانية تماما آثار المذاهب المدرسية، وبرزت اليونان وروما في الرقي العلى. لقد دخل «لوثر» المعركة وبضربة واحدة أسقط كثيرا من النظم والاحكام البابوية. ومضى متبعا طريقا استطاع بها العودة الى مبادئ النصرانية الاولى، واجتهد في أن ينجي الناس بأن يعود الى بعض المعتقدات العبرانية القديمة. وفي هذا وحده ينحصر الشبه بين حركة التجديد وحركة الاصلاح. فكما أن حركة التجديد جذت العودة الى الآداب اليونانية والرومانية، كذلك عادت حركة الاصلاح الى مبادئ أورشليم. ولقد اتحل «لوثر» - ذلك المجدد الجرمانى العظيم - حكمة الاسلام القائلة: «لا رهبانية فى الاسلام»، فقال لذي تطبيقها على النصرانية - «لا رهبانية فى الدين المسيحى». وبهذا أخلى الرهاب أما كنهم للبشرين والوعاظ. ولم يقبل «لوثر» كما هى الحال فى اليهودية والاسلام، أى توسط بين الله ومخلوقاته، وبذلك أصبح كل انسان «قسيس نفسه» وأصبح له الحق فى أن يقرأ العهدين القديم والجديد وأن يفهم منهما ما يشاء.

«ان الثورة البروتستانية كانت ثورة دينية وسياسية معاً، ولقد استطاع «لوثر» أن يفتح سبيل الحرية لجزء عظيم من أهل الانسانية المعذبة المستبد بها عقولا وأجساما، وبذلك أصبح عن قصد حيناً، ولا شعورياً حيناً آخر؛ المثل المحتذى فى الجمعية الغربية الحديثه» (ص ٣٦٦ - ٣٩٥)

«ومع كل هذا لا يجب علينا أن نفعل عن ان لوثر وكالفن وهما عمادا البروتستانتية، لم يكونا من المبشرين بالحرية الفكرية المدافعين عنها دفاعاً مطلقاً من القيود. فان هذا على الرغم من قبوله مبدأ حرية البحث والمناقشة قد تقيد بقاعدة ان كل شىء لا بد من أن يكون موافقاً لنص الاناجيل. وكان

هذا هو السبب في ان مستكشفات كوبرنيكوس لم تُرق لديهم . فان النصرانية قد نصت على ان الارض ثابتة في وسط الكون ، وان ابن الله هبط الى الارض ليفتدي الدنيا بدمه . ولذا كان كل استكشاف يدل على وجود دعوا لم آخري غير هذه الدنيا معتبرا على نقيض التنزيل القدسي كما ورد في الاناجيل ،

« وبعد عراق طويل وحروب حامية الوطيس ، اضطر البابا أن يسلم في جزء من أوروبا لهذا المذهب . ولقد ظهر التجديد في الامور الدينية لدى أول ما ظهر به كأنه من أخطر الاشياء على المدينة ، ولكن بان بعد قليل ، وبعد أن هدأت ثائرة الحركات الرجعية ، انه خير عميم كسبت فيه الانسانية حرية ضميرها وفكرها وثبتت على أقوم القواعد في أوروبا . وعلى الرغم من ان هذه الحركة ظلت زمانا مقصورة على بقاع محدودة ، فان النقد الحر قد ساعد العقول على أن ترتقي ذري التفكير العليا وأن تفتح على عوالم جديدة لم تكن معروفة من قبل . فخلت بذلك الممالك البروتستانتية من قساوسة الكثلكة المستبدين ، وتبدلت منهم برعاة الكنيسة البروتستانتية الذين وعظوا على أسس الآداب والشرائع القويمة ،

« ولقد ظل المسلمون بعيدين عن سرتلك الانقلابات العظيمة التي حدثت في ذلك العصر ، ومضوا عنها غرباء غير عالمين بشيء من جوهرها . وربما يعترض البعض بأننا لسنا مسيحيين ، ولذلك لم نستطع أن نأخذ منها بضلع . وعلى الرغم من « لنا فاني أعتقد انه كان من الواجب أن نشترك في نتائجها في مختلف ميادين الفكر . وهذا ما نريد أن نقرر في صدد الاسلام في هذا الموطن . » ولقد كانت كل الممالك الاوروبية في ذلك الحين آخذة في اصلاح أمورها الدينية ، بعد أن أصبحت ديانة القرون الوسطى في حكم الاشياء المنبوذة ، وكان لابد من أن تحل محلها ديانة جديدة . فاحترف في كل مكان بحق الحرية في الدين والفكر . على هذا كانت الحالة في الغرب ، بينما ظل

فقهاء الدين في الشرق عاكفين بحرارة على تعاليمهم المدرسية القديمة . ومن المستحسن أن نقرر هنا ان أهل اللاهوت في الشرق لم يبلغوا من التطرف في النظر الديني مبلغ جمود قساوسة الكنيسة الرومانية في الغرب ، وظلوا يأملون الناس بأن لا يفكروا خارج دائرة التقاليد القديمة . ولقد ظلت هذه العقلية سداً حال بين الشرق وبين تهذيب القوانين أو تغيير الشرائع . ولهذا السبب عينه عجز العثمانيون عن أن يحددوا في الشرائع والقوانين الوضعية . فان مخالف التقاليد القديمة قد قتلت الحرية في كل طرف من أطراف الحياة . وظل الناس خاضعين لتعاليم التقاليد قسراً عنهم . حتى لقد أفقدتنا المحافظة على القديم صفة الحياة ، كما قتلت أهل الصين من قبل . انها قد جردتنا من كل قدرة على الارتقاء والخطو إلى الامام ،

« لقد ظل رجالنا على جهل كامل بحقيقة الثورة الاصلاحية في أوروبا ، في حين ان الاصلاح بيننا كان أيسر سيلاً وأهون طريقاً . ان الاصلاح قد نشدته الديانة الاسلامية ودعت اليه . وما الاسلام في ذاته إلا حركة إصلاح قام بها نبينا منذ زمان طويل . لقد قام محمد وفي ذهنه ميل إلى وضع الدين بما يوافق دين ابراهيم وتحرير المذهب العيسوي . وبذلك يكون قد أعطى الناس ديناً كاملاً نهائياً . ولا يكون للدين النهائي عندي من معنى ان لم يقم على أساس الحرية والارتقاء . فمن أجل أن يكون في دين ما صفة « الغائية » - أي أنه يكون نهائياً - يجب أن يحتفظ بالباب مفتوحاً غير موصد ، حتى لا يحول شيء فيه دون ابحاث جديدة . ففي القرن الاول من تاريخ الاسلام ، كان التسامح الديني وحماية المناقشات الحرة في بغداد والاندلس من حسنات ذلك العصر ، بل ومن مظاهره الكبرى . ولكن حالت دون هذا التسامح فيما بعد ، مذاهب المدرسية التي أقامها جامدو الفقهاء فعطلت المناقشات وقيد الفكر . ومنذ ذلك الحين

نام الاسلام والمسلمون ، ولم نبدأ في الاستفاقة من تلك النفوة الطويلة ، إلا منذ سنين قلائل ،

« وعلى الجملة نريد أن نقول إن الشرق قد تقدم من عمره ثلاثة قرون لأنه لم يستفق بحركة الإصلاح البروتستانتى . وان كل أمم الشرق يشترطن في هذه الخسارة الكبرى (ص ٢٧٠ - ٢٨٠)

* * *

(٣) مثال المدرسة الثالثة

للاستاذ رفيق صدقى بك

« كانت الخطوة الثانية التى وجب علينا أن نخطوها بعد اعلان الجمهورية ، هو أن نفصل بين مطالب الحياة وبين منازع الدين . أما اكبر حادثة وقعت فى تركيا بعد اعلان الجمهورية فكانت الغاء الخلافة . إن الاسلام فى جوهره قد دعا والحف فى الحض على ضرورة الفصل بين الحياة وبين الدين . ولقد ذكر فى العريضة التى قدمت الى المجلس الوطنى الكبير أن وجود الخلافة فى تركيا قد جعل تركيا بمثابة مسخ مزدوج الرأس فى كل الاعمال الداخلية والعلاقات الخارجية . وان تركيا أصبحت عاجزة عن أن تتحمل عبء هذه الثنائية الغريبة التكوين . وأصبح المعتقد أن الاحتفاظ بأسرة عثمان على رأس الخلافة فى تركيا مجلبة للشرو و المخاطر . تصيب فى أول ما تصيبه الحياة القومية . ففى مدارج الاسلام الاولى كانت الخلافة نظاما موضوعا ليمثل الحكومة ، ولهذا لم تصح مع قيام حكومة وطنية قومية أية ضرورة لقيام الخلافة بجانبها . ولقد عبر كثير من رجال المجمع الوطنى الكبير عن رأيهم فى هذا الامر . فقال سيد بك : « إن العدل من صفات الله . وان حكومة تنفذ العدل فى تركيا يمكن كذلك أن تمثل الله فوق الارض . ان الحكومة قد تقوم ممثلة بالجمهورية وبحكومة عادلة . وما دام الامر كذلك فاني لا أعتبر قيام الخلافة الا تجديف

ووثنية» : وقال آخر . « قال الله لداود لقد جعلتك خليفة في الارض فاحكم بالعدل بين الناس . وهذا يدل على أن أساس الخلافة هو الحرص على العدل وتنفيذه . وبذلك تصبح الخلافة حكومة « عادلة لا أقل ولا أكثر » . ولقد خطب وزير الحقاينة خطبة طويلة قال فيها : « لا يوجد في الحديث الاسلامي كاه حديث واحد يؤيد وجود الخلافة » . وهذا يدل على أن الخلافة ليست شيئا جوهريا في الاسلام . انها شيء سياسي يخضع للتغيرات التي تقتضيها طبيعة الزمان . وبجانب هذا لدينا الحديث المعروف القائل بان الخلافة تكون بعد النبي ثلاثين سنة ، فاذا زادت عن ذلك أصبحت استبدادا وفسادا . وعلى هذه الصورة الاخيرة كان الخلفاء . فقد أمرنا الله باتخاذ الشورى أساسا للحكومة . فاذا أردنا أن نثبت هذا النظام اليوم فإتينا نحن نرجع إلى أوامر الله . اننا لا نريد أن نحفظ بخليفة يحلق من فوق رؤوسنا كشبح مخيف أو كابوس مضم . إن الاسلام يرفض بطبعه أن يكون فيه فئات كهنوتية كالنصرانية . وليس في الاسلام نظام ديني ولا نظام اداري . والاسلام فوق هذا لا يقدر من شيء الا « الحق » والدليل على هذا أن الله يدعي « الحق » في دين الاسلام والاسلام لا ينافي روح الارتقاء فالاسلام لم يكن يوما من الايام حائلا بين تركيا وبين الارتقاء ، بل كان نظام الخلافة هو عدو الارتقاء والتقدم وعدو العلم والمدنية . . . لقد ملئ الاسلام حتى عصرنا هذا بتقاليد غير صحيحة . إن الاسلام الصحيح ضد كل الفكرات الخاطئة البعيدة عن الحق . وكان من أخص الصلوات التي يوجهها النبي لله قوله ما معناه « ارشدنا يارب الى معرفة الحق كما هو » (ص ١٩٥)

ولقد رجع رفيق صدقي بك يعالج الثورة الدينية في تركيا فعمد الى « نخته » الفيلسوف الالماني ينقل عنه هذه الفقرات .

« ان الدين لا يطلب من الناس الا أن يكونوا عدوا لخير بن . على أن كثيرا من الناس قد أساءوا استعمال الدين فوجهوه الى منافعهم وشوهوه تشويها .

عمدوا الى التفكير في جنة الفردوس وحدها . من غير أن يعيروا هذه الحياة التفاتا . وأهملوا التفكير في أمر الحكومة والوطن والامة . كأنها أشياء لا تستحق الاهتمام أو التفكير . فهل كان الله قد قدر أن يهبط الانسان الى هذه الارض ليفكر في جنة الفردوس وحدها ؟ كلا . فان الناس عليهم واجبات ايجابية في هذه الحياة . ولم يكن الدين الاسلوة يتسلى بها العبيد والمستعبدون . ولا تنسى بجانب هذا أن المستبد الفاجر يحاول دائما أن يبشر للناس بفكرة الخضوع والتسليم للدين . ويزين لهم الاستمتاع بما ينتظرهم من نعيم في جنة الفردوس . و الواجب علينا أن نحذر امثال هذه التصورات الملوثة ببلون الدين . إنه لا يجب أن نخلق من هذه الحياة جهنما مستعرة الاوار لنفوز من طريقها . لفردوس المفقود . الواجب أن نبحث عن الفردوس فوق هذه الارض ،

ثم يضيف المؤلف الى هذا قوله !

• من هذه الكلمات تتمثل روح ثورتنا الدينية ومثلها الاعلى . انا لن نعمد بعد هذا الى الدين ليكون وسيلة لتصريف حالات هذه الحياة الدنيا . (ص ٢١ ملحق)

ثم يعمد الى الافصاح عن حقيقة الثورة التركية ومرامها فيقول .

ان غرضنا ينحصر في أن نصل الى ما وصلت اليه الامم المتقدمة الاخرى في ميدان الحياة السياسية والمدنية والاقتصادية ، وأن نشغل بين هذه الامم مقاما خليقا بنا . لقد ضيعنا كثيرا من الوقت في الماضي . ان الوقت ثمين ، ولا يجب أن نضيع شيئا منه بعد ذلك . ان الغرض الذي ترمى اليه الثورة التركية هو أن نصل الى مقام الامم الاخرى في الحضارة والمدنية . ولكي نرتقي مدنيا واجتماعيا قمنا بالثورة . وهذا الغرض احدى اسسها الاولى (ص ٢٢٣) .

•••

وهنا يجب علينا أن نختم القول في وثبة الشرق بكلمات حكيمة فاه بها وزير الحقايقه التركية عند ما أراد أن يعرض على المجلس الوطني التركي القانون

المدنى الحديث الذى استبدل به القانون القديم فى فبراير سنة ١٩٢٦ اذ قال .
 « إن القوانين القائمة على أساس الدين انما تعود بالجماعات الى الحالات
 البدائية الاولى ، فتصبح بذلك اكبر عائق دون الارتقاء . ولا خفاء فى أن قوانيننا
 القديمة التى استمدت من احكام الدين ، الثابتة غير المتغيرة ، كانت اكبر عامل
 فى تقييد تركيا بقيود القرون الوسطى . وفى اليوم الذى يكسب فيه هذا القانون
 الجديد قوة التشريع ، تخلص تركيا من المعتقدات الخاطئة المضلة والتقاليد
 الفاسدة التى استطاعت أن تقيد الامة بقيود من حديد ثلاثة عشر قرنا من
 الزمان . إن هذا سوف يسد باب الحضارات القديمة ، ويفتح لنا الباب الآخر واسعا
 لنلججه الى حيث الحضارة الحديثة . حضارة الحياة والاتقاء . »

حاشية — ذكرنا فى المقدمة اسم « ولز » ونسبنا اليه الكلمة المعروفة
 « الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا » والحقيقة أنها للشاعر « كيلنج »
 ففضلنا التورية رلو أن المقصود هو المعنى لا الشخص



السِّفُونُ البَرَشَاكِي

للكيثرانى مشاوى

شِعْرٌ، وَنَفْسٌ، وَأَدَبٌ عَامٌ
 يُضَلِّبُ مِنَ الْمَطْبَعَةِ السِّلْفِيَّةِ بِالْمَشَاهِرِ وَمِنَ الْمَكْتَبَةِ الشَّهِيرَةِ

قصة الطوفان

وتطورها في ثلاث مدنيات قديمة هي
الاشورية والبابلية والعبرانية والمسيحية
وانتقالها باللقاح إلى المدينة الاسلامية

بقلم

إسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

بحث في مقارنة الأديان يقع في ثمانين صفحة من القطع الكبير فيه مقدمة مستفيضة
عن حدود المعرفة الانسانية وتقسيمها على مقتضى كفايات العقل الانساني . وفي هذه
المقدمة تحليل دقيق للفرض الامكاني والفرض الضروري والفرق بينهما واثبات أن
فكرة وجود الله فرض ضروري للاحتفاظ بألفة العقل الانساني . ثم يلي ذلك
استعراض لقصة الطوفان كما وردت في القرآن ثم استعراض لها كما وردت في سفر
التكوين وهو السفر الأول من أسفار توراة موسى . ثم فصل مستفيض في أصل
القصة عند البابليين وأبطالها وأطوارها وأساسها ونهايتها ووصف كامل لنوح
البابلي — أوت نابشتم — وكيف صنع الفلك وكيف رسي على الجبل وكيف أرسل
من الطير رسلاً وكيف منحته الآلهة الخلود — كل هذا في أسلوب روائي ميثولوجي
طريف ، كما قرئت القصة في الألواح التي عثر عليها في تهاض بابل

ثم بعد ذلك فصل في مقارنات عامة بين القصص الميثولوجية المختلفة كما وردت
في مختلف العقائد عند الاغريق وأهل الهند وفي الآداب السنسكريتية والأقاصيص
الصينية وعند المصريين وفي بلاد المكسيك وعند قبائل «النهوا» وفي البرازيل
وهنود كاليفورنيا . كل هذا مسوق في صورة مقارنات مع ما ورد في الديانات
الكبرى، اعتمد فيها على جمع من كبار المؤلفين مثل جاكسون وبنشز ومولتون
وسير مونيارد ولينز ومكنزي وكنج والعلامة روبرت برون الصغير وويدمان ولينستر
وكيننج وأسفار الرغفيدا والفانا بارفا والمهابهاراتا وغيرها

الثمن ٥ قروش بخلاف أجرة البريد

يطلب من دار العصور ومن كل المكاتب المعروفة

أصل الأنواع

وَنَشُونَهَا بِالْإِنْتِخَابِ الطَّبِيعِيِّ وَحِفْظِ الصُّبُوفِ الْغَالِبَةِ فِي التَّجَارِعِ عَلَى الْبَقَاءِ

ألفه العلامة الكبير معلم القرن التاسع عشر

شارلس روبرت داروين

ونقله الى العربية وعلق حواشيه المستفيضة

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

يصدر في أجزاء متتالية عددها خمسة متساوية الحجم كل منها ثلاثة فصول من الاصل ماعدا ملحق بالتعليقات والشروح التي وضعها المترجم ولا يخفي أن نزعة أكثر العلماء والفلاسفة متجهة اليوم الى تطبيق قواعد مذهب النشوء الاولية على فروع العلوم الحديثة وعلى فروع الفلسفتين العقلية والوصفية. لهذا يعتقد زعماء الحركة الفكرية في الغرب أن الوقوف على تفاصيل هذا المذهب الكبير أساس ضروري لتكوين أسلوب عقلي يوافق مجرى الفكر الانساني كما صبه فيه زعماء النشويين في أواخر القرن التاسع عشر. لهذا يجب على كل متعلم وعالم أن يقرأ هذا المذهب في منتهى الاصل « أصل الأنواع » ذلك الكتاب الخالد الذي لا يستغنى عنه عقل مثقف على النمط الحديث ظهر منه جزآن ثمن كل منهما ١٥ قرشا صاغنا بخلاف أجره البريد وسيظهر الجزء الثالث في مدى شهر واحد أطلبه من دار العصور ومن المكاتب الشهيرة

ثلاث أوبرات طامة

من تأليف الشاعر المجدد الكبير

أحمد زكي أبو شادي

١ - الآلهة

٢ - بنت الصحراء

٣ - اخناون

وهي أوبرات كبرى متنوعة عنيت دار العصور للطبع والنشر باصدارها
بمعرفة عنها من العناية الكاملة بامثال هذه المطبوعات .
ولقد أظهر الدكتور أبو شادي في هذه الاوبرات من القدرة على جمال
الوضع وحسن النسق ودقة الاختيار وروعة المواقف ما يشهد له بالعبقريّة
الفائقة في هذا الميدان الذي تفرد به وحده حتى الآن .
في هذه الاوبرات الثلاث خيال وتاريخ وحقيقة : ففي الآلهة خيال سام ،
وفي اخناون تاريخ ومواعظ ، وفي بنت الصحراء حقيقة وعواطف
ثم كل نسخة ه قروش صاغ بخلاف أجره البريد ، فاطلبها من دار العصور
ومن كل المكاتب المعروفة



13 JUN 1988

main



0 0 0 0 0 0 5 7 2 2 0

CB 251 M35 1929

Mazhar, Isma'il
Wathbat al-sharq

CB 251 M35 1929

13 JUN 1988

CB

251

M35

1929